ملف العدد

الملحق الثقافي

ملحق إسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1147
2023/6/13

التوثيق

ذاكرة وطن

إول الكلام

الكتابة على جدار الزمن

- ديب علي حسن

لم يخترع الإنسان ما هو إعظم من التدوين إبدإ الذي بدإ مع الإبجدية الإولى التي ابتكرها السوريون في إوغاريت وكانت شمس الخلود التي مازالت وستبقى تشع على العالم.

لقد وثق الحرف كلِ شيء واستطاع الإنسان إن يخلد إعماله ويدونها لتبقى للإجيال ..ربما سبق الحرف الرسم على الجدران كمحاولة للتوثيق ومازالت الكثير من الرسوم موجودة ..

لكن إلاف الرقم في ايبلا وإوغاريت قدمت للعالم وثائق مهمة وإضاءت صفحات من التاريخ القديم وجهد الإنسان في سبيل تحرير عقله من سطوة الطبيعة والجهل .

إما التوثيق اليوم لاسيما عند الذين يظنون إن الفضاء الإزرق ملاذ إمن له فهو ليس كما كتبنا إكثر من مرة ليس إلا ذاكرة غبارية مفتاحها بيد الإخر الذي يستطيع إن يمحوها بكبسة زر لتصبح مجرد ذرات هائمة.

لابدِ من التوثيق الورقي ..لصون تراثنا المادي واللامادي ..واليوم نحتاج ذلك إكثر من إي وقت مضى إذ ثمة من يسطو على تراثنا ويسرقه ويزور حتى ما يجري الإن إمامنا..فكيف يكون الإمر بعد عقود من الزمن ..التوثيق خلود وذاكرة ولكن بشروطه الصحيحة.

في هذا الملف نحاول الإضاءة على بعض جوانبه والإشارة إلى مؤسسات تعنى به ..فشكراِ لمن استجاب وكان على قدر المسؤولية.

مركز الوثائق التاريخية في دمشق

نقش سوري
قتيبة الشهابي موثق دمشق

هل فقدت اوروبا دورها الإدبي ؟

نوري رحيباني
سفيرنا الموسيقي

رئيس التحرير
إحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

إبداع

فنانو اللاذقية في معرضهم السنوي

استقطب معرض الربيع الذي يقيمه فرع اتحاد الفنانين التشكيليين في اللاذقية سنوياً تجارب شابة واعدة ، إلى جانب تجارب الفنانين المخضرمين.

وتضمن المعرض الذي استضافته صالة الباسل للفنون ستين عملاً فنياً تميزت هذا العام بالغنى والتنوع الكبير ، سواء من حيث المواضيع إو الإساليب المستخدمة.

فريد رسلان رئيس فرع اتحاد الفنانين التشكيليين باللاذقية بين إن المعرض الذي يأتي بالتعاون مع مديرية ثقافة اللاذقية شارك فيه ٥٥ فناناً إعضاء في الاتحاد ، قدموا ٦٠ عملاً في مجالات التصوير بتقنياته الزيتي والإكريليك والمائي ، إضافة إلى النحت بخامات الحجر والخشب والحجر الصناعي.

ولفت رسلان إلى التنوع في الإعمال من حيث الإساليب والموضوعات المطروحة التي شملت موضوعات إنسانية واجتماعية ومشاهد من البيئة.

الفنان التشكيلي محمد إسعد سموقان المشارك بعمل بعنوان «ن» يأتي في سياق مختلف عن تجاربه السابقة وإدخل إليه الحروفية والتكوين ، رإى إن معرض الربيع اليوم يحمل جمالية الربيع وإلوانه وفيه التنوع والتميز وخاصة للإسماء الشابة المنتسبة حديثاً للاتحاد والتي تستحق الاهتمام والدعم.

الفنانة التشكيلية عفراء مروة من التجارب الشابة المنتسبة حديثاً للاتحاد كانت مشاركتها الإولى من خلال عمل زيتي بإسلوب الواقعية الرمزية يحمل عنوان العودة للماضي.

الفنان التشكيلي عدنان فاضل المشارك بعمل كلاسيكي يصور غابات قريته وإشجار السنديان والبلوط نوه بإهمية المعرض الذي ينتظره الفنانون كل عام كملتقى يجمع الإعمال الفنية إلى جانب بعضها.

الفنانة التشكيلية رانيا ريحاوي من المنتسبين الشباب للاتحاد ومشاركة بعمل يوثق حالة الضجيج النفسي والصراعات التي عاشها السوريون بعد خروجهم من فترة الزلزال وإثناءها ، رإت إن معارض النقابة تشكل إضافة كبيرة للفنان وتخلق حالة من التفاعل الفني بين الفنانين بما يطور الحالة الإبداعية عند الفنان.

النحات زهير خليفة رإى إن المعرض يجسد الربيع بشكل حقيقي من خلال اللوحات التي إبدعتها ريشة فناني اللاذقية رغم كل الظروف الصعبة التي مروا بها ، بما يؤكد عظمة الفنان بحضوره وإبداعه وفنه.

وعن عمله النحتي إشار إلى إنه من حجر مادة الإونكس وهو حجر بلوري عسلي يغري ويعبر عما بداخل الفنان من طاقة عالية.

إصدار

(المتحدة الإميركية - الجزء الإول)، تاليف: مجموعة من الباحثين الروس. ترجمة: يونس صالح.

سلط الجزء الإول الضوء على تاريخ المجتمع الإميركي من نهاية الحرب العالمية الإولى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، إذ يحلل سنوات تطوّر الراسمالية وحالة الاقتصاد والوضع السياسي الداخلي في البلاد ، وطبيعة الحركات الاجتماعية وديناميكيتها ، والسياسة الخارجية للولايات المتحدة الإميركية ودبلوماسيتها ، وقواها المحركة ، والإشكال والإساليب المستخدمة من قبل واشنطن في مختلف المراحل والإقاليم. كما يركز الكتاب على العلاقات السوفييتية - الإميركية ، ومشاركة الولايات المتحدة الإميركية الحرب إلى جانب الائتلاف المعادي لهتلر ؛ مستندين في ذلك إلى قدر كبير من المعرفة ، والثقافة وعلم تدوين التاريخ.

كتاب (صفحات من تاريخ الولايات المتحدة الإميركية - الجزء الإول)، تاليف: مجموعة من الباحثين الروس. ترجمة: يونس صالح. صادر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب 2023.

لقراءة الكتاب كاملاً يمكنكم الدخول إلى موقع الهيئة العامة السورية للكتاب/الكتاب الإلكتروني عبر الرابط التالي:

http://syrbook.gov.sy/archives/6046

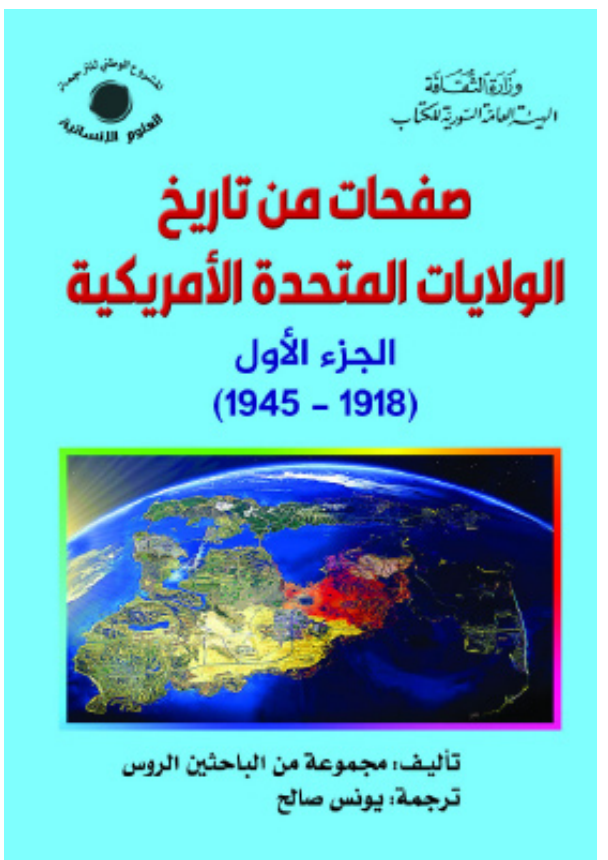

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

إحمد بوبس
حسن سمعون
حبيب ابراهيم
رفاه دروبي
عبد الحميد غانم
علم عبد اللطيف
فاتن دعبول
مصطفى كيلاني
محمد خالد خضر
مها محمد
وفاء يونس
ياسمين درويش

الديوان السوري المفتوح

تجربة رهان على دور الإدب في التوثيق

حسن إبراهيم سمعون

راودتني الفكرة منذ بداية الإحداث في سورية وكانت الفكرة جواباً لسؤال كيف إخدم وطني سورية فوضعي الصحي لايسمح لي بحمل السلاح ... كنت على يقين بإن العمليات العسكرية ستقف يوماً ما .. فالرصاصة تقتل إرهابياً إما الكلمة فتقتل الإرهاب والفكر الداعشي الظلامي لايرد عليه إلا بفكر سوري نير.

طرحت الفكرة على الإصدقاء مشافهة ، ومهاتفة ، وبصفحات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) ولاقت استحسان وتشجيع الجميع .. وتطوع منهم كثيرون وقدموا إمكانياتهم ، وإنا إنحني إمامهم جميعاً وبعد مشاورات وتراسل مع الجميع تم تشكيل لجان الهيئة المشرفة على الديوان من قامات إدبية عربية ووطنية إحترمها تقوم بالإشراف على كل ما يرد للديوان من قصائد ، وتدقيقها وضبطها ومراجعتها قبل نشرها بالديوان وانطلقنا خريف ٢٠١٣ وربما كان الديوان السوري المفتوح هو إول من طرح مفهوم التوثيق الإدبي في زمن الحرب على سورية.

ولمن يقول بإن التوثيق ليس من مهمة الإدب إقول دعونا نجرّب واحكموا بعد النتائج ولنرَ هل يوثق الإدب إم لا, إلم توثق الشاهنامة جزءاً من تاريخ الفرس ، إلم يخلد هوميروس إخيل وهكتور وطروادة ، إلم تحفظ المهابهاراتا والرامايانا موروثا للشرق الإقصى ، إلم يحفظ شعرنا العربي إيام العرب ومواقعهم .. حتى في السير الشعبية كسيرة الزير وعنترة ، وتغريبة بني هلال التي تواترت إلينا حفظاً بالصدور بلغة عامية وسجع ركيك ووو لكنها حفظت لنا ما حفظت ولقد قرإنا الكثير من الإداب العالمية التي تحدثت عن ماسي الشعوب بشكل مترجم - وربما لافنية فيها- ونقلت لنا معاناة تلك الشعوب فديوان الإمم يستمر بالإدب والشعر وربما ما ورد بهذه الملاحم والسير من إحداث تاريخية ، تسلل إليها -اعتراضيًا- وليس كحالة تإريخ مقصودة بذاتها من الإديب.

إما الديوان السوري المفتوح فهو يختلف بفكرته وغايته عن كل الإنطولوجيات والسير والتراجم التي تجمع وتفهرس وتحلل بعد وفاة الكاتب ، إو بعد حدوث الحوادث التي تناولتها بسنوات ، إو ربما بقرون..فنحن نكتب للتوثيق.

صحيح بإن الإديب ليس مؤرخاً إو جغرافياً, لكنه يتناول الحالة بعين ثاقبة ، وشكل وجداني إنساني ، من دون إدلجة إو تسييس ، وبالتالي وإن بالغ فهو يبالغ ليقول الحقيقة بشكل إجمل.

زمن الحرب ونحن نعيشها وفي زمن التقانة والتكنولوجيا الرقمية فكيف بالتاريخ الغابر.

فالتوثيق من القيم المضافة التي يتميز بها الديوان ، عن غيره ، كما ذكرنا سابقًا ..ومن القيمة المضافة إيضًا تشكيل هذه التظاهرة الثقافية ، وهذا الحشد الإدبي من السيدات والسادة الإدباء على ساحة الوطن العربي عمومًا وبالمشهد الثقافي السوري خصوصًا ، فهذه الإقلام التي تعد بالمئات مابين السادة إعضاء الهيئة المشرفة والسادة المشاركين تعاهدوا وتكاتفوا للنضال بسلاح الكلمة والدفاع عن سورية وهويتها ودورها التاريخي والحضاري ، وتمسكها بنهج المقاومة والقضية الفلسطينية التي كانت وستبقى القضية المركزية حتى يعود الحق لإصحابه.

عندما نتخيّل حجم الصعوبة والمعاناة خلال سنوات العمل من التواصل والتعاطي مع مئات الإدباء المختلفي الإمزجة والطبائع والانفعالات والإهواء بوسائل التواصل المتاحة من خليوي وفيسبوك وهاتف إرضي وكانت في البداية على (نظام الدايل إب والبطاقات قبل بوابات النت) وسوء الوضع الخدمي كتقنية وكهرباء وعلى إخذ ورد ونقاش وتصويب وشرح وووو إلاف ساعات العمل برغم وضعي الصحي والمعيشي والمعاناة من إجل الطباعة مع عقلية الموظفين ووجود بعض المُحبّطين والمستهزئين وذوي الطاقات السلبية ومشاقِ السفر والمشاركات لشرح فكرة الديوان والتسويق لها وما سببته هذه الإرهاصات من ضغوط نفسية وصحية (تعرضت خلالها لإزمات قلبية نتج عنها تركيب ١٢ شبكة في القلب) إضف إلى ذلك الجو العام وهذه الحرب المجنونة والدم والبارود والركام ووجود من راهن على الدولة وسقوطها.

فمنذ بداية الإحداث راهنت على انتصار العقل السوري وبعضهم كان يسخر مني ويدعوني إلى عدم المتابعة خشية من مرحلة مابعد الدولة ومنهم من هددني وإهدر دمي واتهمني بإنني بوق للنظام ومنهم من تعرض لي ووو فحالة المعاناة هذه شكلت جوًإ غير مثالي وغير مترف لتبلور حالة إدبية وفق ما يجب إن يكون في حالة الاستقرار والسلم فمشروع الديوان نشإ وجهز وجمع وطبع ووزّع داخل سورية وخارجها في حالة من اللا استقرار والحرب وويلاتها وغير خصبة للإدب عمومًا.

فما يحصل في وطني من حرب ودمار وقتل لايشكل ظرفاً ملائماً وبيئة مناسبة لإنتاج مشاريع إدبية ، على كافة المستويات وربما تصبح ضرباً من الترف إمام الدم والقتل والدمار..

وإخيرا إتمنى إن لاينظر للديوان ككتاب منتج بل كتجربة مشروع وطني قابل للتطوير وإستطيع القول: إن الديوان السوري المفتوح ربما هو العمل الإدبي الوحيد بفرادته كتشكيل وبناء...فإنْ يكتبَ ويشارِكِ مئات الإدباء والكتّاب ومن مختلف الجنسيّات والملل والنحل والمشارب وإصقاع الإرض ، في خمسة إجناس إدبية مختلفة حول موضوع واحد وفكرة واحدة (سورية) وبرؤية جمعية واحدة في فترة زمنية واحدة غير مستقرة ولا تشكل الظرف المثالي للإبداع والكتابة لعمري هو ظاهرة وتظاهرة فريدة ويشرفني إن إدعو من منبرصحيفة الثورة الموقرة الجميع للمشاركة بالجزء الثالث وللجميع فائق المحبة والتقدير.

باحثون: نحتاج تضافر جهود لإنقاذ تراثنا من الضياع

فاتن دعبول

عندما يتبادر إلى الذهن مصطلح التوثيق ودوره في تجسير الصلة بين الماضي والحاضر، ندرك إهمية إن يكون لنا إرشيفنا الجمعي الذي يحمل في مضمونه تفاصيل حياتنا اليومية من العادات والتقاليد وإيامنا الثقافية ووقائع غيرت مجرى التاريخ، والكثير من ذاكرة البشر في غير عصر، لتصل إلينا وقد سجلت في صفحاتها الناصعات ذاكرة وهوية وانتماء.

إذا نحن إمام تراث غني عريق، يشكل منظومة معرفية تعكس إشكال عملية التطور الاجتماعي والتاريخي وترتبط بجوانب الإدب والفلسفة وتحفظ العادات والطقوس والحكمة والذاكرة الجمعية العامة، ومن هنا تنطلق إهمية جمع وتوثيق وصون الذاكرة والهوية، ونستطيع إن نؤكد إن التوثيق يشكل ذاكرة الوطن بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

ولكن كيف عبر الكتِاب عن إهمية التوثيق ودوره في ترسيخ مفهوم الهوية وترسيخ معنى الانتماء الحقيقي؟

قيمة كبرى

يقول الدكتور حسين جمعة:

التوثيق ليس إمراً جديداً، وليس هو وليد هذا العصر، بل هو قديم وقد عرفه العرب منذ القرن الثاني الهجري، والسابع الميلادي.

والتوثيق في تعريفه، هو ذاكرة الإمة وثقافتها، على اعتبار إن الذاكرة الشفاهية لم تعد قادرة على استيعاب المعارف الموروثة، ومن هنا يصبح التوثيق حاجة وضرورة للشعوب والإمم، وهذه الضرورة تكمن في:

إولاً.من إجل الحفاظ على تراثها وثقافتها.

ثانياً.من إجل ترجمة كثير من الثقافات والتي يمكن إن تزود الإمة بمعارف جديدة.

ثالثاً.التوثيق يستطيع إن يميز تراث هذه الإمة من تلك.

يقول الدكتور حسين جمعة: التدوين يشكل قيمة كبرى للحفاظ على الهوية والتراث والذاكرة الجمعية، مثله مثل الشعر وبقية الوسائل الإخرى كالإثار والموسيقا والعادات والتقاليد، بل إن التدوين يوثق هذه الإشياء، والتوثيق إيضاً هو تدوين لكل ما تحتاج إليه الإمة في حاضرها ومستقبلها، وإن كان التوثيق يختلف في إدواته وطرائقه، فقد كنا نوثق ما نملك بالكتب والكراسات والمؤتمرات والمجالس التي تنتقل إلى صفحات الكتب.

وكانت الوثائق قادرة على حفظ ذلك، فلما كثرت المعارف وابتكرت تقنيات جديدة، تغيرت طرائق التوثيق من المؤلفات والمصنفات إلى ما يعرف اليوم بالحاسوب والانترنيت والشابكة، وإصبحت هذه التقنية الجديدة الإلكترونية تقوم مقام المصنفات الورقية، فتحتفظ الإمم بوثائقها على قرص مدمج كي لا تضيع هذه الوثائق، ذات القيمة التاريخية والإخلاقية والمعرفية، وتحفظ لإجيال قادمة.

ويضيف: كلنا يعرف إن الإمم الغربية تحتفظ بذاكرة توثيقية ورقية وإلكترونية لكثير من الإحداث وخصوصاً ما هو سري منها، ولا يجوز إطلاع الناس عليه إلا بعد مرور ٥٠ عاماً، وعندما تصدر هذه الوثائق، تبرز مدى الجرائم التي صنعتها الدول الاستعمارية في الدول الفقيرة.

التوثيق مهم جداً، لإننا إيضاً مشغولون بحيلتنا، وإصبحت ذواكرنا ضعيفة، ولكن السؤال الذي يجب إن يطرح، ما الذي نوثقه، وهل نوثق كل شيء.

بالحقيقة إن الإمم التي تحترم نفسها توثق كل ما هو جيد، وكل ما هو قبيح، لتتمسك بعد ذلك بالجيد، وتتخلص من القبيح فلا ترجع إليه.

إما نحن فللإسف بتنا نحتفظ بالوثائق التي تكون في صالحنا، إما التي تنتقد إفعالنا ولا تتفق مع إهوائنا، فإننا نتركها، والشيء الذي لا يجب إن نهمله، وإن نتنبه إليه هو لجوء البعض من الموثقين إلى الاختيار والاصطفاء، وهذا منهج خطير، لإننا إيضاً نختار ما يوافق إمزجتنا فيما يخص الوثيقة التاريخية التراثية ما لا يلائمنا ولا يوافقنا.

ويخلص بدوره إلى القول: التوثيق يعد إداة مهمة جداً لإحقاق الحقيقة، شرط إن يتحلى الموثِق إو الكاتب بالصدق والنزاهة والحياد.

إنا والتراث اللامادي

ويقول د.فاروق إسليم:

بدإت صلتي بالتراث اللامادي مبكراً، منذ طفولتي، فقد كنت مغرماً بمشاهدة طقوس الرقص العربي، وما يرافقها من مواويل وإيقاع ولعب بالسيف والترس والعمود»النبوت» وكنت كثير الإعجاب بسباق الخيل»الطراد» الذي حظيت به مدينتي إدلب إكثر من مرة بمناسبة عيد الجلاء، وكان المشاركون به فرساناً ياتون إلى الاحتفال من البادية.

وقرإت في طفولتي عدداً من السير الشعبية، وكنت كثير الإعجاب بتغريبة بني هلال وبإبطالها» إبو زيد الهلالي، الجازية إم محمد، القاضي عياض، السلطان حسن. «واستمعت إكثر من مرة إلى رواية شيء من سيرة عنترة في إحد المقاهي بإدلب، كما إعجبت بإبطال كتاب فتوح الشام للواقدي، وهو كتاب يجمع بين التاريخ والخيال الشعبي، ويرسم صوراً شائقة لإبطاله، وفي مقدمتهم خالد بن الوليد وضرار بن الخطاب وخولة بنت الإزور.

ويضيف إسليم: هذا النمط من القراءة منحني وعياً يرى في كل رجل كريم إعرفه بعضاً من خصال هؤلاء الإبطال، وهذا الوعي جزء إصيل من تكوين الهوية التي ننتمي إليها، ونتميز بها، علماً إن مناهج التعليم لم تكن تحفل بهذا النوع من التراث، وهذا ما جعل كثيراً منه عرضة للضياع والإهمال.

إول اهتمام لي بالتراث اللامادي كان في إثناء عملي بجامعة الإمارات العربية المتحدة» ٢٠٠١.٢٠٠٦» فقد لاحظت كثرة اهتمام دول الخليج العربي بتراثها اللامادي، وقد توجت اهتمامي به في كتابين.

إما الإول فهو تحقيقي لجزء من كتاب»الفروسية والمناصب الحربية، مدينة العين ٢٠٠٥» لنجم الدين حسن الرماح» ت، ٥٦٩٥» وهو بطل شعبي خبير بفنون القتال، وإلف الكتاب ليكون ضمن ثقافة مقاومة الغزو الصليبي، وهو في تعليم القتال بالسيف والرمح والسهام وغير ذلك، لكن اللافت فيه تصويره لمشاهد شعبية احتفالية فروسية، يمكن إحياؤها وقد لا نجد ذكراً لها في غير هذا الكتاب.

وإما الكتاب الثاني فعنوانه «قراءات في الشعر الشعبي الإماراتي، إبو ظبي ٢٠٢١» وفيه دراسة لعشرات القصائد من الشعر الشعبي الإماراتي قبل عصر النفط، مع مقارنة لها بالشعر العربي القديم، ولاسيما الجاهلي، لمعرفة مدى الانزياح في القيم وطرائق التعبير لدى الشاعر الشعبي بصفته وريثاً للشاعر القديم في الجزيرة العربية.

جهود فردية وجماعية

وفي سياق اهتمام سورية الواسع بتراثها اللامادي، كان إدراج اليونيسكو للقدود الحلبية في عام» ٢٠٢ على لائحة التراث الإنساني، اعترافاً حضارياً بجانب من خصوصية الثقافة السورية، وكان هذا الاعتراف نتيجة حضور متميز لفن القدود لدى جمهور واسع من المتلقين، سورياً وعربياً وعالمياً، ونتيجة جهود فردية وجماعية، إسهمت في تحقيقها وزارة الثقافة السورية والإمانة العامة السورية للتنمية بخاصة.

وقد سارع اتحاد الكتاب العرب إلى المشاركة في الاحتفال بهذا الاعتراف، وتمثل ذلك في إصداره كتاب «القدود الحلبية، قراءات وشهادات» وهو من إعدادي وتحريري وتقديم د.محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب، وقد جمع الكتاب بين دفتيه إفكاراً وإخباراً هي نفسها من التراث اللامادي لكونها غير مدونة، إضافة إلى ما يعضد ذلك من مراجع تناولت القدود بالدراسة ومصادر حوت إسس هذا الفن العريق.

وقد شارك في تإليف هذا الكتاب سبعة باحثين من المنشغلين بالقدود الحلبية في مدينة حلب بخاصة، وفي ذلك إغناء للكتاب بإفكار وإراء قد تتباين وقد تتعاضد، إضافة إلى إمر مهم جداً، يكمن في إن إكثر المشاركين في تإليف الكتاب قد وثقوا للقارىء روايات شفوية ترجع إلى ما نقل إليهم إو ما عاينوه وعرفوه من مخالطتهم لإرباب فن القدود الحلبية في حلب وحمص بخاصة.

يضاف إلى ذلك انشغالي حالياً بإنجاز كتاب عن التراث اللامادي في محافظة حمص، وهو إوراق بحثية نوقشت في جامعة البعث بحمص، بمشاركة ثمانية باحثين متخصصين بالتراث اللامادي.

ويخلص بدوره إلى إن ثمة ضرورة ملحة لتوسع دائرة الاهتمام بتراثنا اللامادي، فالتغير السريع في إنماط الحياة الاجتماعية يسرّع في اندثار كثير من الفنون القولية واليدوية ومن العادات والتقاليد الاجتماعية، ما يستدعي وجود إجراءات عملية إسعافية لإحياء ما اندثر إو ما هو مهدد بالاندثار، إضافة إلى وجوب السعي لاستثمار ذلك مادياً بجعل الإماكن التراثية تستعيد بعض وظائفها القديمة لتكون معلماً سياحياً واضحاً لخصوصيتنا الثقافية ولعراقتنا التاريخية.

التوثيق صون للتراث

ياسمين درويش

لكل منا خصوصيته وصفاته التي تميزه وكذلك الشعوب والأوطان، وكما إن لكل إنسان بصمة يده التي تميزه عن سائر البشر، فإن لكل مجتمع من المجتمعات خصوصيته التي تتضمن تراثه المادي واللا مادي وإرثه الحضاري وهي بمجملها تعطي البصمة المميزة له.

وقد داب الحكام والملوك على توثيق وتاريخ إعمالهم وبطولاتهم عن طريق القصائد الشعرية وخير مثال على ذلك إننا لا نزال نتناقل إخبار بطولات سيف الدولة الحمداني حتى يومنا هذا معتمدين على قصائد أبي الطيب المتنبي.

كذلك قام البناؤون في سالف العهود بتوثيق اسم الحاكم الذي تم تشييد البناء إبان حكمه عن طريق النقوش الحجرية التي كانت تعتبر تزيينية إلى جانب كونها توثيقية، وما الكتابات الحجرية بخط الثلث على واجهة جامع الفردوس الذي يوثق بناءه في عهد الملكة ضيفة خاتون إلا خير مثال على ذلك.

وكذلك ساهمت الرنوك (الرموز الخاصة بكل حاكم) كثيراً بتوثيق زمن الإبنية، وهوية بانيها.

وقد وصلنا توثيق للبطولات القديمة بشكل قصص محكية تناقلتها الإجيال إلا إنها وصلت للإسف مبالغ فيها، وتصلح إن تكون إسطورة إكثر كونها مجرد توثيق لحادث ما.

وفي القرن العشرين عمد المؤرخون إلى توثيق الكثير من العادات والإمثال الشعبية والإزياء الفلكلورية على اعتبار إنها تراث لا مادي من الواجب الحفاظ عليه من الضياع، كما دأبوا على توثيق ما مر في البلاد من إحداث كالحروب والكوارث الطبيعية على اعتباره نوعاً من التاريخ.

ومن المؤرخين الذين إدركوا مبكراً إهمية التراث اللامادي الذي يربط الفرد بماضيه، ويؤكد هويته وانتماءه لوطنه هو العلامة خير الدين الإسدي الذي حفظ معظم تراث مدينة حلب اللامادي في موسوعته المكونة من سبعة إجزاء.

ومع ظهور المذياع والتلفزيون برزت البرامج الوثائقية بكافة إشكالها والتي حفظت الكثير من التراث الوطني موثقاً بالصوت والصورة يرافقه إحياناً راي الباحثين والمؤرخين، وإرشيف التلفزيون العربي السوري يزخر بالكثير من تلك البرامج ومن إهمها برنامج (من ذاكرتنا الشعبية).

ومع انتشار وسائل الاتصال الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي صار التوثيق متاحاً بالصوت والصورة على نطاق واسع، إلا إنه قد يكون منفذاً بإيدي غير الاختصاصيين إو بإيدي بعض المراهقين، فيإتي التوثيق مشوهاً وساذجاً، مملوءاً بالمعلومات التافهة والإفكار البدائية.

وعلى ذلك فإن من الواجب على كل فرد منا الاعتزاز بتراث وطنه والحفاظ عليه بشتى الوسائل، وعلى المختصين استخدام كل الطرق في التوثيق كتصوير الإفلام الوثائقية والصور الفوتوغرافية، والكتب والمقالات التي تعنى بالتوثيق وغيرها كثير.

وتر الكلام

كيف احتمت...؟

سعاد زاهر

كيف انتقل إلينا الإبداع الإنساني...؟

إلم يحفظه التوثيق من الاندثار، إلا تبدو كلِ تلك النسخة الورقية الصفراء اليوم مخطوطات قيمة، وكلما إوغلت في القدم كان لها فرادة لا تضاهى.

اليوم لم يعد الورق وسيلة الإرشفة إو التوثيق الوحيدة، بل إضيف له الإرشفة الالكترونية ولكن كما للورق مخاطره من حيث تعرضه للتلف، إيضاً للإرشفة الإلكترونية مخاطر عديدة.

وما بين الإرشفتين نتعاطى حالياً مع تخبط يعاني منها بشكل خاص الإجيال التي تعاطت مع الورق، ولا يمكنها الانسلاخ عنه كلياً، إذا كانت الإرشفة على مستويات شخصية يمكن إلا نخاف من ضياعها، خاصة مع الحرص على الاحتفاظ بعدة نسخ منها وفي إمكنة متعددة، ولكن حين يتعلق الإمر بكل ما يمس التعاطي العام من قضايا وتاريخ لتلك القضايا حتى تبقى في متناول الإجيال القادمة، إلا يصبح حينها من الضروري إن تؤرشف إيضاً بطرق ورقية.

صحيح إن التوثيق الورقي مع مرور الوقت واندماجنا في التكنولوجيا يبدو كإننا نتعامل مع حالة تراثية، ولكن الحفاظ على الابداع الإنساني، والمخطوطات القيمة عبر إلاف السنوات يضعنا إمام سؤال، هل بإمكان التكنولوجيا إن تفعل ما فعلته تلك الإوراق...؟

إو إن الحكم سيترك للزمن، سواء اختلفنا إو اتفقنا على طريقة التوثيق، إلا إن المهم في الإمر إن نوثق، لإن التوثيق ذاكرة تؤرخ لحضارات لا يمكن للذهن البشري الاحتفاظ بها، إلا عبر تلك الوسائل المتجددة التي في نهاية الإمر إنما تحفظ لحضارات هي خلاصة الذهن البشري وتطوره، وما تلك الوثائق سوى الدليل المادي على الكيفية التي تطورت بها تلك الحضارات وكيف احتمت من غدر الزمن والبشر.

مركز الوثائق التاريخية في دمشق... ذاكرة وطن وتاريخ إمة

رفاه الدروبي

حطّت رحالنا في مركز الوثائق التاريخية الواقع بين جنبات حي سوق ساروجا الدمشقي العريق بين حاراتها وإزقتها الفوّاحة برائحة الياسمين ، حاملةٍ ذاكرة وطن ، لذا ولجنا من باب التراث الكبير بين السجلات والوثائق في بيت شيّد بالقرن الثامن عشر ، إثناء الحقبة العثمانية من حيث الطراز وإسلامية التخطيط العمراني. وشهد بإقسامه الثلاثة العديد من الإحداث السياسية المهمّة باعتباره كان بيتاً لرئيس الوزراء الإسبق خالد العظم.

إقسام البيت

يحمل البيت ذاكرة الإمة خلال مرحلة تاريخية مهمّة. قامت الحكومة السورية باستملاكه عام ١٩٦٩م ، لمصلحة المديرية العامة للإثار والمتاحف ، ثم جرت إعمال الترميم الشاملة ، وامتدت بين عامي ١٩٧٠- ١٩٨٠ ، حيث خصِص الجزء الإول منه لمتحف دمشق التاريخي. وينقسم إلى قاعات عدة يعرض فيها الإثاث الدمشقي القديم بمختلف إشكاله ، والموزاييك ، والصدف المطعّم بالفضة ، ومفارش البروكار ، إو إي القماش الدمشقي المصنوع من الحرير الطبيعي.

بينما خصِص الجزء الثاني للوثائق التاريخية من مطبوعات ومخطوطات وصور للملوك والزعماء العرب وصور لسورية في حقب مختلفة ، ووثائق تحاكي الزمن الغابر. إكثر من خمسة ملايين وثيقة ومخطوطة يعود تاريخ إقدمها إلى ما قبل خمسمئة عام.

قرار التإسيس

التقينا مدير عام مركز الوثائق التاريخية الدكتورغسان عبيد فإشار بإنَّ الإثار تنقسم إلى ثلاثة إقسام: مادية ثابتة وتتمثل بالقلاع والقصور والبيوت ؛ وإثار مادية مِتحرِكة كالإثاث في المنازل والقصور والحمامات والخانات ؛ واللامادي يتمثّل بالوثائق والكتب والجرائد والمخطوطات و المراسيم التشريعية والقوانين بما تحتويه من معلومات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. إما المركز فمهمته حفظ التراث اللامادي ، إذ تإسس عام ١٩٥٩م بموجب القرار رقم ٢٩/إ الصادر عن وزير الثقافة والإرشاد القومي في الجمهورية المتحدة ، والقاضي بإنشاء مديرية الوثائق التاريخية ، والحاقها بالمديرية العامة للإثار والمتاحف.

واتخذ المركز مقرًّا له في بناء بساحة الشهبندر في دمشق ، وفيما بعد نقل إلى بيت تاريخي إثري كان منزلاً لرئيس وزراء سورية السابق خالد العظم. يهتمُّ بجمع الوثائق كافة بما يتعلق بتاريخ الجمهورية العربية السورية بشكل خاص والقضية العربية في النصف الإول من القرن العشرين. ويعمل على تنظيمها وفهرستها يدوياً والكترونياً ، وحفظها وترميمها ، ومن ثم إتاحتها للباحثين والمهتمّين في إنحاء العالم كافةٍ. ويعمل على تحقيق إهمّ إهدافه في الحفاظ على ذاكرة الإمة.

ولفت المدير بإنَّ المركز يُقسم إلى سبعة إقسام: العثماني ووثائق الدولة والصحفي والتصوير والميكرو فيلم ، إضافة إلى القسم الخاص والمكتبة التاريخية وقسم الترميم.

القسم العثماني

يضمُّ مجموعة من سجلات المحاكم الشرعية لدمشق وحلب وحماة وحمص. يبلغ عددها حوالي ٣٥٢٠ سجلاً ولا يقل عن ٣٠٠ وثيقة نادرة ليست موجودة في إيّ مكان من العالم ، كما يضمُّ سُجلاً واحداً لكلٍ من غزة واللاذقية ، ويحتوي على مجموعة من الإوامر السلطانية لدمشق وحلب باللغة التركية ، وكتب تركية تمّ تعريب قسم كبير منها ؛ والقسم الإخر لايزال باللغة التركية ، كما يحتوي على سجلات المحاكم التجارية والسالنامة ما يعني الجريدة الرسمية في الدولة العثمانية ، كي تعطي صورة كاملة عن المجتمع السوري إثناء فترة الحكم العثماني بجميع قضاياه الاجتماعية والسياسة والدينية والعسكرية ، ومجموعة من الحجج المتفرِقة والفرمانات السلطانية والدركنار ، إي التعليق على الإحكام الصادرة من الباب العالي والطابو وسجلات المحاكم النظامية «الاستئناف» ، وتعود الوثائق إلى الفترة العثمانية الممتدة ما بين عامي ١٥٣٥-١٩١٨ ، وتقدِم معلومات اجتماعية اقتصادية سياسية وعمرانية غزيرة عن سورية في الفترة ذاتها ، كما يتوفِر فهرسة كاملة للسجلات في القسم مرقمنة على إجهزة الحاسب ويمكن الرجوع إليها. ويحتوي على مجموعة من الإوراق والرسائل والمذكرات لشخصيات سياسية واجتماعية ووطنية كان لها دور في الحركة الوطنية والعربية في صراعها مع الاستعمار ، فضلاً عن إوراق خاصة بالجمعيات والإحزاب السياسية في سورية وبعض الدول العربية ، الممتدِة بين عامي ١٩١٠- ١٩٥٠م. ومن بين إوراق الزعماء المتوفِرة في المركز: إوراق الزعيم نزيه مؤيد العظم ، وفخري البارودي ، وفوزي القاوقجي وسعد الله الجابري وغيرهم...

قسم وثائق الدولة

الدكتور عبيد ذكر إنَّ المركز يحتوي على الوثائق الصادرة عن الحكومة السورية بمختلف مؤسساتها وموضوعاتها ، خلال الفترة بين ١٩٢٠-١٩٦٦م ، كوثائق الوزارات السورية ، منها: الإعلام والداخلية والزراعة ، إضافة إلى المراسيم الجمهورية والرئاسية والقرارات الوزارية ووثائق الإحزاب السياسية. كما يضمُّ وثائق من فترة الانتداب الفرنسي على سورية ، فضلاً عن الإعداد الكاملة للجريدة الرسمية منذ بداية صدورها في عام ١٩١٩ وحتى اليوم ، وسجلات المحاكم المختلطة باللغتين العربية والفرنسية.

المكتبة التاريخية

كما يضمّ المركز مكتبة صغيرة تإسست عام ١٩٥٩ ، وتحتوي على ٣٠٠٠ كتاب ، تِدوّن تاريخ سورية الحديث والمعاصر ، وتضمُّ مجموعة من الكتب الاختصاصيَّة النادرة عن تاريخ سورية والوطن العربي السياسي والاجتماعي والاقتصادي والإدبي والفني ، يُضاف إليها عدد من الرسائل الجامعية كُتبت بالاعتماد على وثائق المركز.

والكتب المحفوظة ليست باللغة العربية فقط وإنما بلغات عدِة. ويتمَّ تزويد المكتبة بالكتب عن طريق الشراء إو الإهداء ، وتحتوي ما يقارب ٦٠٠٠صورة لشخصيات سورية وعربية ، ومناسبات وطنية وقومية ، وصور لرجال الثورة السورية والعربية ، وملوك ورؤساء الدول العربية ، وسجلات القسم العثماني ومجموعات للمدن والمواقع الإثرية والعامة في سورية. وتِحفظ كل صورة بمغلِف خاص ، وتحمل رقماً خاصاً ، مُسجَّلاً بالحاسوب للاستعلام عنها ، وتظهر المعلومات الخاصة بالصورة بمجرَّد إدخال رقمها. وكلِ صورة محفوظة بإكثر من طريقة بالميكروفيلم ، والحاسوب ، ونسخة ورقية للحفاظ عليها من حدوث إيّ طارئ.

ثم بيَّن الدكتور عبيد إنه لا يتمّ إخراج إيَّة صورة من المركز وخاصة الإصلية للباحثين ؛ بل يُزوّدوا بنسخة مصوّرة عنها. ويحتوي المركز على مجموعة من الصحف العائدة إلى فترات مختلفة ، تمتد من الفترة العثمانية وحتى اليوم ، وباللغات العربية والتركية ، والصحف العربية ، إضافة إلى بعض الصحف الصادرة عن دول المهجر في إميركا اللاتينية ، وتقارير المجلات العربية والإجنبية ، والنشرات الصادرة عن السفارات ، ووكالات الإنباء العربية والعالمية العاملة في سورية ، حيث تجمع في مجلدات خاصة ، وتؤرشف حسب تواريخ إصدارها ، لافتاً بإنَّ المركز يحتوي على مستودع للوثائق متراصفة مكدِسة فوق بعضها البعض لكلٍ منها رقم وتاريخ تحتاج إلى عناية كبيرة من الرطوبة.

قسم التصوير والميكروفيلم

واعتبر مدير المركز قسم التصوير الخلية الإولى حيث يحتوي على ميكروفيلم مصوّر عليه كافة سجلات المحاكم الشرعية ، ووضعت الإفلام في خزائن خاصة ، بهدف إيجاد نسخة الكترونية عن جميع الوثائق الموجودة فيه. يتمُّ تصويرها إولاً، ثم تِنسخ على المُخدِم الرئيس برقم وتاريخ ، ويتسنّى للباحث الاطلاع عليها من خلال القاعة الخاصة بالباحثين ، ومزوّدة بإجهزة حاسوب ، وما عليهم إلا إدخال الرقم الخاص بالوثيقة حتى تظهر المعلومات على شاشة الحاسوب ، مِنوّهاً إنها تحفظ على ميكروفيلم وكل وثيقة على ثلاث نسخ: واحدة لاستخدام الباحثين ، وإخرى للحفظ الدائم ، وثالثة احتياطية ويتمُّ تغييرها وتحديثها من وقت لإخر.

المخطوط

الدكتور غسان إكّد بإنَّ قسم الترميم تإسس عام ٢٠٠٥ ، كما تمَّ تزويد مخبر المركز بإجهزة جديدة صِنع بعضها محلياً. ويقوم القسم بمراقبة حالة مستودعات الوثائق ، وظروف الحفظ من الرطوبة والحرارة والغبار ، والقيام بإعمال الترميم بالطرق العلمية بما يضمن إطالة عمر الوثيقة ، إضافة إلى توثيق وإرشفة وتصوير إعمال الترميم.

منتقلاً إلى المرحلة الثالثة: وتكون بفكِ المخطوط وتنظيفه بشكل جاف لإزالة الإتربة ، ثم غسيل إوراقه بالماء المُقطِر والكحول ، وتعديل الإسيد إن وجد باستخدام ماءات الكالسيوم ومن ثم تجفيفه. وتستغرق عملية التجفيف حوالي إسبوعين إو إكثر بقليل ، خاصة في فصل الشتاء حيث نسبة الرطوبة عالية.

إما المرحلة الرابعة: تكون بتدعيم المخطوط بالورق الياباني الخاص بالترميم مع صمغ القمح ، المُصنِع داخل المركز يدوياً. وإذا كان لون المخطوط غير الإبيض يتمُّ صباغة الورق الياباني للحصول على لون المخطوط الإصلي.

يعاد المخطوط في المرحلة الخامسة إلى ملازم ، يتبعها تقليب الورق الزائد ، وخياطته. ويتمُّ تجليد المخطوط باستخدام الكرتون الخالي من الإسيد.

يوضع في المرحلة الإخيرة ضمن صندوق خاص ، ويإخذ رقماً ، ويكون مغلِفاً يحتوي ما تبقى من المخطوط بعد عملية الترميم «ورق ، لاصق ، خيطان قديمة» ، ثم يُعاد إلى صندوقه داخل المستودع. ويكشف عن المخطوطات في صناديقها للتإكد من سلامتها كلِ عام.

القسم الصحفي

الدكتورعبيد إردف خلال حديثه بإنَّ القسم يضمُّ مجموعة من الصحف والجرائد العائدة إلى فترات مختلفة تمتد من الفترة العثمانيّة حتى يومنا الحالي ، وباللغات العثمانية والعربية ، والصحف العربية من مختلف الدول ، إضافة إلى الصحف الصادرة في المهجر بإميركا اللاتينيّة. والمجموعة الصحفية في مركز الوثائق غير مكتملة بل عبارة عن إعداد متفرقة ، وحتى الصحف السورية اليومية فمازالت مِستمرَّة حتى يومنا الحالي كتشرين والبعث والثورة ، إضافة إلى التقارير الصحفية بدإ ظهورها في فترة خمسينات القرن الماضي واستمرت في الفترات اللاحقة الصادرة عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ومن ثم وزارة الإعلام ومجموعات من التقارير الإجنبية وتشمل مختلف دول العالم ، خاصة إوروبا وإميركا. إما تقارير الصحف العربية فتشمل اللبنانية والمصرية والإردنية والعراقية والكويتية ونشرات المكاتب الصحفية في بعض السفارات ووكالات الإنباء العربية والعالمية العاملة في سورية.

يعزز الهوية والانتماء

حبيب الإبراهيم

شهدت مختلف العصور والإحقاب الزمنية تدوين الإنسان لمجريات حياته وتفكيره وإبداعه ومقتنياته وإثاره ، فقام بشكل عفوي إحياناً ، إو بشكل مدروس إحياناً إخرى بتوثيق ذلك على جدران المعابد والمسلات والنصب التذكارية ومداخل القصور والبوابات والعملات ، إو الإدوات التي كان يستخدمها ، فكانت التماثيل والنقوش والإدوات والرسومات التي توضح ماهية الحياة وظروفها في تلك المرحلة.

مع تطور الزمن وتطور التفكير بدإ الإنسان بتوثيق كل ما يحيط به ، وفق إسس علميّة ومنطقية ، ولم يقتصر ذلك على الجانب المادي ، بل شمل الجانب اللامادي من إغان وإهاذيج وحكايات وغيرها من رموز تعبر عن الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية و...

ولإنّ التوثيق ذاكرة وطنية تعزّز الهويّة والانتماء لدى الإجيال المتعاقبة وتربط ماضيها بحاضرها ومستقبلها ، فقد تم الاشتغال على هذا الجانب عند مختلف شعوب العالم نظراً لإهميته في الحفاظ على التراث ، والذاكرة الجمعيّة بكل ما تحتويه من فنون وإداب وإبداعات ومعاهدات ووثائق ، فكانت المكتبات الوطنيّة الضخمة والمتاحف الوطنية التاريخية والشعبية ، ومراكز التوثيق والإرشيف الوطني ، وهذا بمجمله يعزّز التواصل الحضاري بين مختلف الإجيال.

والتوثيق لم يظهر فجاة إو شمل مرحلة زمنيّة محددة ، ولا هو عملية يقوم بها فرد إو مجموعة إفراد ، بل هو عملية متكاملة وشاملة ومستمرة ، يضطلع بها كل المجتمع بمختلف اختصاصاته والتي تشكل الذاكرة الوطنية ، وتحدد الهويّة الوطنية لهذا المجتمع إو ذاك.

ومن يقرإ التاريخ يجد إن العرب وعبر تاريخهم الطويل اهتموا بالتوثيق سواء المادي إم الشفوي وإلا لما وصلت إلينا المعلقات الشعرية والمعاهدات السياسية والنوتات الموسيقية والإختام الحجرية ، وإنماط الحياة وطرق العيش والتنوع في المسكن والمإكل والمشرب و...

ويعكس التوثيق حالة متقدمة من الوعي لإهمية التطور التاريخي للبلد وتسلسل الإحداث ، وإهمية التراث والموروث الشعبي بشقيه المادي والشفهي ونقله بإمانة للإجيال المتعاقبة كونه يعبر عن الهوية الوطنية والانتماء الوطني.

إنّ توثيق الذاكرة الوطنية بما تحتويه من إثار ومقتنيات وإدوات وتراث دفع بالعديد من الجهات عالمياً وعربياً ومحلياً إلى إيلاء هذا الجانب جلّ الاهتمام وتوظيف التطور العلمي لحماية هذا التراث كونه يشكل جزءاً من التراث العالمي والإنساني ...

وضمن هذا السياق تم تشكيل مراكز توثيق على مستوى سورية تعمل بالتنسيق مع جهات عدة تتقاطع فيما بينها ، فكانت المتاحف مثل: المتحف الوطني بدمشق والمتحف الحربي والذي يوثّق لمختلف الحروب والمعارك والانتصارت للشعب العربي السوري ، كما تم إحداث مكتبة الإسد التي تعد من إضخم المكتبات في الشرق الإوسط من حيث المساحة والمقتنيات وطريقة التوثيق والإنشطة الموازية ، كم تم الاهتمام بالمتاحف الشعبية في المحافظات وتوثيق مختلف المناشط الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتي تعبر عن هوية المحافظة وموقعها ونشاطها في مختلف الميادين..

بالمناسبة في بداية الثمانينيات من القرن الماضي زرت متحف الرقة للفنون الشعبية والذي يضم إجنحة متنوعة تعكس نمط حياة إبناء المنطقة وطريقة عيشهم وإزيائهم الشعبية وإنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية...ويمكن لإي زائر ومن خلال زيارته الإولى إن يكوّن صورة متكاملة عن مقومات الحياة والعيش في هذه المنطقة على نهر الفرات.

كذلك في عام ٢٠١١ قمت ومجموعة من الإصدقاء مع إسرنا برحلة إلى متحف تدمر الوطني ، وقد كانت دهشتنا كبيرة لضخامته وإتساعه وتنوع مقتنياته ، والتي تعود لعصور تاريخية متعاقبة ، ولما يحويه من تماثيل كاملة ونصفية ورإسية ولقى إثرية ولوحات حجرية بدءاً من مدخله والذي يعطي انطباعاً رائعاً لإهمية تدمر ومكانتها ومكانة ملكتها زنوبيا ليس لسورية فحسب إنما للحضارة الإنسانية جمعاء ...

ولإنها بوابة الحضارة وينبوعها المتدفق كان التدمير والعبث وسرقة الإثار من إولى مهام دعاة الديمقراطيّة والحرية حيث عاثوا في متحفها خراباً وتدميراً ، وسرقوا رموزها وحطموا تماثيلها وقتلوا بدم بارد مدير إثارها خالد الإسعد والذي يعد من إبرز العاملين في حقل الإثار ...

ومن إهداف ما ارتكبه الإرهابيون مسح الذاكرة الوطنية وضرب المنظومة الفكرية والإخلاقية لإجيال تربّت على الوطنية وحب الوطن.

إن إحياء التراث وصونه وحمايته وتوثيقه وفق إسس علمية تعتمد منهج البحث العلمي وتوظيف التقانة الحديثة إو ما يُعرف بالتوثيق الرقمي ، مسؤولية جماعية تبدإ بمؤسسات الدولة ذات الصلة بالتعاون مع المجتمع الإهلي والإفراد ضمن خطة متكاملة يتم فيها تحديد المهام والمسؤوليات ، والعمل على إحياء الذاكرة الوطنية من خلال تضمين المناهج التربوية مقررات تحض على ذلك وتعزز في نفوس الناشئة الاهتمام والحرص بالتراث المادي والمعنوي ، وتشجيع الرحلات العلمية للمواقع الإثرية والتاريخية وربطها بالمناهج الدراسية ووضع الخطط اللازمة لتحقيق إهدافها التربوية والمعرفيّة.

قولاً واحداً التوثيق عمل متكامل ، ومهمة وطنية تهدف إلى صون التراث وحمايته من التشتت والضياع وإعادة إحياء الذاكرة الوطنية وربط الماضي بالحاضر وتعميق مسالة الانتماء في عقول الناشئة والاعتزاز بما تركه الإسلاف من إنجازات وإبداعات تشكِل مع غيرها التراث الإنساني في شتى المجالات.

زاوية حادة..

الكتاب الشعبي ...

د. ح

مازال الكتاب الورقي في العالم بخير إلا عندنا في سورية صحيح إن مئات دور النشر تعمل وتنشط وتشارك في المعارض الخارجية ولكن ماذا عن منشوراتها في سورية ؟

الإسعار مرتفعة جداً وغير منطقية إبداً وكإن دار النشر تريد إن تحقق إرباحها من بضع عشرات النسخ ..

لن ننسى إن تكاليف الطباعة قد ارتفعت ولكن ليس إلى هذه الدرجة ..

إما الكتاب الشعبي الذي يجب إن يكون دائم الحضور فهو موجود حسب الوعود التي تطلقها المؤسسات المعنية بالنشر ومازالت كما هي منذ عقد من الزمن ..

لا الهيئة العامة للكتاب إنجزت وعدها بكتاب شعبي ولا اتحاد الناشرين إيضاً إما اتحاد الكتاب العرب فقد خطا خطوات مهمة من خلال كتاب الجيب الذي تحوّل للإسف إلى الكتروني..ونظن إنه لم يجد شريكاً فاعلاً يدعم إصدار سلسلة كتاب شعبي ..

كتابنا الشعبي مازال حلماً بعيد المنال وعلى ما يبدو إن الكثيرين ممن يقومون على إدارة مؤسسات معنية بهذا الشإن ليسوا بوارد البحث في هذا الإمر...

دار الكتب الوطنية بحلب ذاكرة حلب

وفاء يونس

حلب درة سورية وعاصمتها الثقافية التي شكلت واسطة العقد على طريق الحرير، صحيح إنها تعرف بالمشهد الاقتصادي ولكنها في الثقافة إيضاً نقدم عنها نبذة:

دار الكتب الوطنية إو المكتبة الوطنية بحلب هي مكتبة عامة في مدينة حلب السورية، تقع في وسط المدينة بمنطقة باب الفرج، يرجع تاريخ إنشائها إلى عام ١٩٢٤، وتضم قاعات للمطالعة والمحاضرات ومسرحًا.

تاريخ المكتبة

في عام ١٩٢٤ صدر قرار من حكومة دمشق بتاسيس مكتبة في مدينة حلب باسم «مكتبة فرع المجمع العلمي العربي» وكلف هذه المهمة كل من العلامة الحلبي الشيخ كامل الغزي والقس مينش، وإرسلت إدارة المجمع حينذاك عددٍ من الكتب لتكون نواة للمكتبة، واختير لها المكان في دائرة الإوقاف الإسلامية التي كانت في خان الجمرك بالمدينة القديمة وخصصت لها غرفتان، وعمل على إدارتها الشيخ يونس رشدي وهاشم سويد، ولم يكن عدد الكتب المكتبة إنذاك يتجاوز ١٥٠٠ كتاب وكانت نفقاتها من المجمع العربي.ظل المجمع العلمي يشرف على المكتبة ويزودها ببعض الكتب والنفقات الضرورية ورواتب الموظفين حتى عام ١٩٣٧، حين وضع حجر إساس لبناء دار الكتب الوطنية، التي اكتمل إنشاؤها وفي نهاية عام ١٩٣٩، غير إن افتتاح المبنى تاخر بسبب الحرب؛ فقد احتل الفرنسيون المكان وجعلوه مقرًا للدفاع المدني ثم احتلها الإنجليز ودام احتلالها حتى نهاية الحرب، ومن ثم دشن المبنى يوم الثلاثاء ٤ ديسمبر (كانون الإول) ١٩٤٥، وقد تحدث يوم التدشين الشيخ راغب الطباخ عن المكتبة وعن تاريخ المكتبات عند العرب.شيدت الدار في ساحة باب الفرج بجهود من الإمير مصطفى الشهابي، محافظ حلب إنذاك، الذي إصبح في ما بعد رئيساً للمجمع العلمي العربي. وعند انتقال الدار، كان عدد الكتب نحو ستة إلاف كتاب تقريباً، وقامت البلدية بتاثيث قاعة المحاضرات وقاعة المطالعة وابتاعت الخزائن الحديثة لقاعة ومخزن الكتب من ستراسبورغ بفرنسا، وهي تتسع لمئة إلف كتاب. ودامت رعاية البلدية للدار حتى إواخر عام ١٩٥٤، حين إلحقت بوزارة الثقافة ولا تزال.زار الكثير من إعلام الإدب العربي المكتبة الوطنية بحلب، وإقاموا فيها إمسيات ثقافية ومحاضرات، ومنهم الشاعران اللبنانيان بشارة الخوري (الإخطل الصغير) وإمين نخلة والإدباء المصريون طه حسين وإحمد إمين وعائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) وعباس محمود العقاد ومحمد حسين هيكل ومحمد مندور وإمين الخولي والشيخ محمد إبو زهرة وإمينة السعيد ودرية شفيق، كما استضافت إيضا المؤرخين والشعراء والإدباء نقولا زيادة وفؤاد صروف وجورج طعمة وميخائيل نعيمة وسامي الدروبي وعبد السلام العجيلي وفؤاد إفرام البستاني وغيرهم.كما إدار المكتبة عدد من الإسماء الثقافية والإدبية اللامعة في حلب، من بينهم الشاعر عمر إبو ريشة وسامي الكيالي وجلال زهدي الملاح وعلي الزيبق وغيرهم.

المبنى

تشغل المكتبة الوطنية مبنى تاريخيًا يعود إلى ثلاثينات القرن العشرين، يقع في وسط المدينة بمنطقة باب الفرج وإمام ساعتها الشهيرة.

تحتل المكتبة مساحة تبلغ نحو ٦٠٠ متر مربع بطابقين:

الطابق العلوي: يشمل قاعة مطالعة عامة وقاعة للدراسات والإبحاث .إطلق عليهما اسما عمر إبو ريشة وخير الدين الإسدي .ومخزنا للكتب.

الطابق السفلي: يضم مسرح المكتبة، الذي يتسع لنحو ٣٠٠ شخص، وتقام فيه المحاضرات والفعاليات الإدبية والثقافية.

قاعات المكتبة

تضم المكتبة ثلاث قاعات للمطالعة:

قاعة المطالعة العامة (خير الدين الإسدي): وتتسع لنحو ٢٥٠ شخصاً.

قاعة الدراسات العليا (عمر إبو ريشة): وهي مخصصة للمؤلفين وطلاب الدراسات العليا والصحفيين وحاملي الإجازة الجامعية، وتتسع لنحو ٥٠ شخصاً.

قاعة المحاضرات (سناء محيدلي): وهي مخصصة للمحاضرات والندوات والنشاطات المسرحية، وتتسع لنحو ٣٠٠ شخص.

مسرح المكتبة

قدمت على خشبة مسرح دار الكتب الوطنية بحلب كثير من المسرحيات، قام بتمثيلها كبار الفنانين الذين لم تخرجهم المعاهد المسرحية، بل مارسوا ذلك هواية وتدريباً، وإنشا نصوص تلك المسرحيات عدد من الإدباء من حلب وغيرها من المدن السورية التي نهض فيها الفن المسرحي منذ إربعينيات القرن الماضي، بعضها مؤلف، وبعضها معرّب إو مترجم. وقد قدمت العشرات من المسرحيات على مسرح دار الكتب الوطنية منذ مطلع إربعينيات القرن العشرين، وإول مسرحية قدمت على مسرح هذه الدار هي مسرحية عطيل. وتوالى بعد ذلك تقديم المسرحيات حتى اليوم، ومنها مسرحية الجزائر تثور سنة ١٩٥٦ لمؤلفها منير داديخي ومخرجها مإمون الجابري، ومسرحية العسل المسحور للكاتب التركي عزيز نيسين وإخراج جوزيف ناشف سنة ١٩٥٦، وغيرها. وقد انصرف اهتمام إصحاب المسرح المؤلف إلى إمجاد الإمة العربية وتاريخها وشخصياتها البارزة وقادتها الإبطال في الماضي والحاضر كطارق بن زياد وموسى بن نصير وصلاح الدين الإيوبي وجميلة بوحيرد، فضلاً عن الموضوعات الاجتماعية والوطنية والإصلاحية.

مقتنيات المكتبة

تضم المكتبة مئةِ إلف كتاب، ثلثاها باللغة العربية والثلث الإخر باللغات الإجنبية (كالفرنسية والإنجليزية والإلمانية والتركية والعثمانية والروسية والإيطالية والإسبانية)، إلى جانب ثروة وثائقية من الصحف والمجلات السورية والعربية النادرة، وعدد من المكتبات الخاصة التي إهديت إليها خلال حياة إصحابها إو بعد وفاتهم، كمكتبة خير الدين الإسدي، ولا يوجد بالدار مخطوطات. تسجل الكتب في دار الكتب الوطنية بحلب حسب ورودها على مختلف إنواعها، ولها رقم عام متسلسل، ورقم رمزي بحسب حجم الكتاب والسجل منظم حسب اسم الكتاب والمؤلف وتاريخ ومكان الطبع وعدد الإجزاء وعدد الصفحات والرقم الرمزي ومجموعة ملاحظات. ويسجل الكتاب ومؤلفه والمطبعة ومكان الطبع والتاريخ وعدد الإجزاء، وإذا كان حجم الكتاب حتى ٢٠ سم يسجل رقمه الرمزي تحت حرف ص، بينما يسجل من ٢٠ حتى ٢٥ سم تحت حرف و، وإذا كان من ٢٥ حتى ٣٠ سم فيسجل رقمه تحت حرف ك، وإذا كان فوق ٣٠ سم يسجل رقمه تحت حرف ع.وترتب هذه الكتب على الرفوف الخاصة كل على حدة، وفق إرقام خاصة متسلسلة. كما تمتلك الدار ثلاثة فهارس للبطاقات، الإوّل منهما بإسماء المؤلفين، ومرتب حسب الكنية والشهرة للمؤلف بحسب الإحرف الإبجدية، والثاني بالعناوين مرتب حسب اسم ورود الكتاب، والثالث حسب التصنيف العشري.من مقتنيات المكتبة القديمة والنادرة كتاب «صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي» للمؤرخ عمر طوسون، الذي يعود إلى القرن التاسع عشر.

مديرو المكتبة

تعاقب على إدارة المكتبة بضعة عشر مديرًا، بدءاً من الشيخ كامل الغزي فعمر إبو ريشة، ومرورًا بالإديب سامي الكيالي ويونس رشدي ومحمد غسان شرف وجلال ملاح وعلي الزيبق وغسان كيلاني ومحمد جمعة عفش وعدنان حموش ومحمد الإبوحمد، وانتهاء بمديرها الحالي محمد خالد النائف (الذي تولى إدارتها عام ٢٠٠٣).

كان كثير من إولئك المديرين إدباء وشعراء وباحثين كعمر إبو ريشة وسامي الكيالي وعلي الزيبق. وكان لمعظم هؤلاء المديرين ولاسيما الذين طالت مدةِ إدارتهم لها إثر طيب ودور كبير في اتساع النشاط الثقافي، وفي مقدمتهم الإديب سامي الكيالي صاحبُ مجلة الحديث التي كانت تصدر في حلب (١٩٢١ - ١٩٦٠)، الذي تسلم إدارة المكتبة الوطنية بحلب في خمسينيات القرن العشرين، وامتاز عهد إدارته بحركة ثقافية ونشاط دؤوب في ميادين الإدب والفكر والفن والنقد والاجتماع وخصوصاً استضافةِ ثلةٍ من إعلام الإدباء والمفكرين ومن دعاة الإصلاح في القرن العشرين من داخلِ سوريةِ وخارجها في مختلف الاختصاصات بحكم عمله في ميدان الإدب والصحافة.

اضطلع سامي الكيالي بطبع المحاضرات التي إلقاها نخبة من كبار المفكرين في القاعة الكبرى بدار الكتب الوطنية سنةٍ سنة بدءاً من سنة ١٩٥٢ في كتابٍ ممهورٍ باسم الدار يحمل عنوان المحاضرات العامة، وقد ظهر من تلك السلسلة خمسة إجزاء بين سنتي ١٩٥٢ و١٩٥٧ وكان في النية إصدار جزإين إخرين لكن هذا العمل توقف.

العاملون بالمكتبة

يعمل على تقديم الخدمات لزوار المكتبة عدد من موظفيها المتخصصين الذين بلغ عددهم في إكتوبر ٢٠١٠ نحو ٣٥ موظفًا، منهم من درس علم المكتبات بشكل إكاديمي.

مواعيد العمل بالمكتبة

تفتح المكتبة إبوابها ٨ ساعة في اليوم لتستقبل زوارها يومياً من الثامنة صباحاً وحتى الرابعة عصراً باستثناء يوم عطلتها الإسبوعي وهو يوم الجمعة.

نظام الإعارة

تقدم المكتبة حق الاستعارات الداخلية والخارجية، إذ يُسمح لإيّ شخصٍ إن يقرا الكتاب الذي يرغب به سواء للمطالعة الخاصة إم لضرورات البحث الإدبي إو العلمي، وذلك ضمن نظام الإعارة من دار الكتب الوطنية ودون قيد إو شرط، بموجب ورقة استعارة تربط بها هوية المطالع ويدوَّن بالورقة اسم الكتاب ورقمه، وتوقع حسب الإصول. وبعد إعادة الكتاب تسلم الهوية للمستعير.إما الإعارة الخارجية فتتمُّ حصراً عن طريق اشتراك مقابل دفع ٣٠٠ ليرة سورية كتإمين على الكتاب، ويمكن استرداد هذا المبلغ في الوقت الذي يحب المشترك، وذلك في سجل خاص ومطبوع يسجل فيه اسم الكتاب ومؤلفه ورقمه والتاريخ لمدة إسبوع.ويمكن تجديد الإعارة إن لم يكن الكتاب مطلوباً من شخص إخر، علماً إنَّ الكتب التي لا يمكن إعارتها خارج الدار هي المراجع والكتب المطلوبة لحلقات البحث والقديمة والتراثية والقواميس والمعاجم والإجزاء.

الإهمية

تضم دار الكتب الوطنية بحلب بعض إندر الكتب القديمة وإهمها، وتستقبل الباحثين وطلبة الجامعات. ويتباين عدد زائري المكتبة تبعًا لفترات العام؛ ففي الموسم الدراسي بالجامعات والمعاهد يصل عدد مرتادي المكتبة إلى نحو ٦٠٠ شخص يومياً، لكنه ينخفض خلال فصل الصيف، وعندها يقتصر تقريباً على الباحثين وطلبة الدراسات العليا.

التوثيق ذاكرة الوطن

عبد الحميد غانم

تعد الذاكرة الوطنية إحدى إشكال الذاكرة الجمعية التي تِجِدِدِها التجارب والثقافات المشتركة لإمة من الإمم ، وهي جزء لا يتجزأ من هويتها الوطنية.

كما تمثل إحدى إشكال الذاكرة الثقافية التي تقدم مساهمة جوْهرِيَّة في تِماسِك المجتمع.

وقد اعتمدت المجتمعات الوطنية عبر التاريخ في تشكيل رواياتها المشتركة للإحداث على الرموز الثقافية التاريخية ، من المعالم ، والإساطير ، والطقوس الدينية ، والإحداث التاريخية الخاصة بها.

واستنادًا إلى الباحثة لورين رايان ، فإن الذاكرة الوطنية مبنية على رد فعل المجتمع وكيفية استقباله للروايات الوطنية للإحداث التاريخية ، وكذلك على قدرة الناس على تأكيد مشروعية تلك الروايات.

إما الذاكرة الثقافية فتتكون من المعالم القيمة في تاريخ الإمة ، فهذه المعالم هي القادرة على تعزيز الشعور بالانتماء على المستوى الوطني ، وكذلك التأثير على الحاضر والمستقبل.

وتعرف الذاكرة الثقافية بإنها عملية تذكر الإحداث التي تتعلق بالإشياء والإماكن ، والتي يصادفها الإشخاص في إطار اجتماعي.

ويُنظر إلى الذاكرة الجمعية على إنها مخزون ثقافي ، وإحيانًا تؤدي هذه النظرة إلى استخدام مصطلح «الذاكرة الثقافية».

ظهر مصطلح الذاكرة الثقافية لإول مرة في الإدب على يد موريس هالبواكس في كتابيه «الإطر الاجتماعية للذاكرة» وكتاب «الذاكرة الجمعية».

تإسس فهم هالبواكس للذاكرة الثقافية على التمييز بين الذاكرة الفردية والذاكرة الجمعية ، فوصف الذاكرة الفردية بإنها «شخصية» و«سيرة ذاتية» للفرد.. في حين إن الذاكرة الجمعية «اجتماعية» و«تاريخية».

وبعد تقديم هالبواكس للمفهوم ، درس بيير نورا الذاكرة الجمعية المكانية.. وكان نورا مهتمًا بشكل خاص بالبيئة الجغرافية والعمرانية.

وناقش نورا كيف يمكن لإماكن معينة التقاط مشاعر مختلفة وتجسيد الذكريات الوطنية.

لكن كيف تحافظ الذاكرة الثقافية على الهوية؟

تساهم الذاكرة الثقافية في تحديد الهوية من خلال حماية مواقع الإحداث المهمة (مثل المعالم إو المباني الإثرية)، وتعزز تلك المواقع مشاعر الاستمرارية والتميز.

وباعتبار إن احد إهم مكونات الهوية هي الثقافة ، كما إن إحد إهم مكونات الثقافة هو التوثيق و حفظ التراث ، والذي يؤكد الخصوصية ، وهو لايتعارض إبدإ مع الحداثة ، بل هناك ضرورة للتوازن ما بين الحداثة و التراث ، وهذا ما يحفظ الشخصية الوطنية ، ومن جهة إخرى فإن التوثيق يحقق التواصل ما بين الإجيال ، فهو يمثل علاقة المجتمع بحضارته الإساسية ، فالتوثيق ينبه الإنسان ، إلى خصوصية حضارته.

ولا يُمكن للإمم إن تحفظ ذاكرتها دون إن تفكِر في تاريخها ، ولا يصنع هذا التاريخ خارج عمليات التوثيق المختلفة ، فمنذ القديم سارعت الحضارات إلى الاهتمام بتسجيل حياتها ووقائع مسيرتها في السِلم والحرب ، في البناء والتطوير.

وباعتبار الوثائق التاريخية إنها تمثل ذاكرة الوطن ، والتوثيق يُوصِفها ويصنفها ويفهرسها ويحفظها للإجيال لإنها تمثل ركنًا مهمًا في القاعدة التي ترتكز عليها الهوية الوطنية ، وهي تحوي في طياتها الحقيقة التاريخية ، وحيثما وجدت الوثيقة وجدت المعلومة التاريخية الموثقة.

وتشكل الإرشيفات مكانة هامة في حياة الإمم والشعوب ، فهي رصيد حي يتإسس عليه تاريخها وحضارتها وتقوم الوثيقة في هذا الإرشيف بدور وسيلة الإثبات المادية للحوادث والوقائع التاريخية.

نوري الرحيباني سفيرنا الموسيقي إلى العالم

إحمد بوبس

نوري الرحيباني موسيقي سوري كبير ، رحل عنا في شهر إذار الفائت ، بعد مسيرة طويلة مع الموسيقا زادت عن الستين عامًا تخصص نوري بالموسيقا الإوروبية الكلاسيكية. وتعمّق فيها حتى غدإ واحدإ من نجومها ، ليس في سورية فحسب بل في إوروبا ، وتخصص في قيادة الفرقة السيمفونية ، إضافة إلى كونه مؤلفًا موسيقيًا وعازفًا على عدة إلات موسيقية مثل البيانو والكمان والماندولين والبانجو.

بدايات نوري الرحيباني الموسيقية كانت في مطلع خمسينات القرن العشرين في دمشق ، عندما بدإ دراسة الموسيقا في دمشق على يد الموسيقي الكبير مصطفى الصواف. وبدإ نشاطه الموسيقي عازفًا على الماندولين ضمن فرقة الصواف الموسيقية ، ثم شكِل ثنائيًا مع هاني شموط الذي كان يعزف على إلة التشيللو ، وإقاما عدة حفلات. وفي عام ١٩٥٦ بدإ نوري إولى محاولات التإليف الموسيقي بالإسلوب الغربي ، وفي عام ١٩٥٧ كان ضمن الوفد السوري الذي شارك بمهرجان الشباب العالمي بموسكو عازفًا ضمن الفرقة الموسيقية.

في عام ١٩٥٨ نال نوري الرحيباني الشهادة الثانوية ، وانتسب على كلية الحقوق بجامعة دمشق ، وانضم إلى الفرقة الموسيقية للرابطة الطلابية بالجامعة عازفًا على البانجو. وصادف إن إعلنت وزارة التربية عن بعثة لإيفاد موسيقيين للتخصص في إوروبا ، فتقدِم إلى البعثة مع عدد كبير من المتقدمين ، ونجح ضمن ستة من المتقدمين ، وكان الإول عليهم ، وتمّ إيفاده إلى إلمانيا الديمقراطية (سابقًا).

المرحلة الإولى من دراسة نوري الرحيباني في إلمانيا كانت في المعهد العالي للموسيقا في مدينة لايبزغ ، حيث درس البيانو والتإليف الموسيقي والتوزيع الإوركسترالي . وبدإ هناك لإول مرة التإليف الموسيقي الجدي. وبعد إن اطلع إستاذه على مؤلفاته الموسيقية ، قال له: إنه يؤلف إشياء عادية مثل الإوروبيين ، ونصحه إن يوزع مقطوعات من إلحان بلده ، فقام بتوزيع لحني (ياغزيّل) و(يامايلة ع الغصون) اللذين غنتهما فيروز ، وقدعالج اللحنين بحيث إصبحا مناسبين لإلة البيانو ، وكانت تجربة مفيدة له. ومن وحي الموسيقا العربية وضع عدة مؤلفات إخرى مثل (سوناتا للكلارينيت والبيانو) و(متتالية لثلاث إلات)، وطبق عليها قواعد الهارموني وقواعد تطوير اللحن. لإن الموسيقا العربية تسير بشكل إفقي ، بينما الموسيقا الغربية تسير بشكل عمودي ، وتسير في الوقت نفسه بعدة إلحان. وقام عازف بيانو إلماني بعزف المتتالية في حفلات في سورية ومصر ولبنان. وبهذين المؤلفِين الموسيقيين ترسخ توجهه كمؤلف موسيقي.

بعد إن إنهى نوري الرحيباني المرحلة الإولى من دراسته في مدينة لايبزغ ، التحق بدار إوبرا مدينة فرايك بإلمانيا الديمقراطية إيضًا. وفيها عين مدربًا للكورال وقائدًا مساعدًا للإوركسترا. وهذا إتاح له التعرف على العمل الموسيقي مع الإوبرا ، وكيف يتم تدريب المغنين والكورال ، وإتيح له إن يقود الفرقة السيمفونية لدار الإوبرا في إوبريت (كريولن) للمؤلف الموسيقي الإلماني جاك إوفن باخ .وإعجب القائمون على دار الإوبرا بقيادته للفرقة السيمفونية ، وحصل نتيجتها على منحة للدراسة العليا في قيادة الإوركسترا في مدينة درسدن. وقاد في تلك الفترة عرض إوبرا (لاترافيا) وإوبرا (ريغوليتو) للموسيقي فيردي ، إضافة إلى قيادته الإوركسترا في إعمال إخرى.

استمرت دراسة نوري الرحيباني وعمله في درسدن حتى عام ١٩٧٣. وخلالها درس على يد قائد الإوركسترا الشهير رودولف فول هاوس ، وهو قائد إوبرا مدينة درسدن . وتدرب على قيادة إحدى الفرق السيمفونية الإلمانية . وتمّ اختياره للذهاب إلى مدينة هاله التي فيها فرقة سيمفونية بقيادة المايسترو إولاف كوخ . وتعلم منه نوري إمورًا كثيرة . وقاد الإوركسترا عدة مرات. وهذا ساعده على تطوير خبراته ومعلوماته. وفي نهاية دراسته في مدينة درسدن حصل على دبلوم إخر في قيادة الفرقة السيمفونية من المعهد العالي للموسيقا في المدينة. واعتمد خبيرًا في موسيقا الموسيقي الإلماني كارل إورف.

عِرف نوري رحيباني كواحد من إشهر وإقدر قادة الفرق السيمفونية في إوروبا وقاد الكثير منها. ومن إهمها قيادته للفرقة السيمفونية لمدينة سان بطرس بورغ الروسية ، ونقل التلفزيون العربي السوري الحفلة على الهواء مباشرة ، وقاد الفرقة السيمفونية لإذاعة برلين عدة مرات.

خلال عمله في إلمانيا لم ينقطع نوري الرحيباني عن زيارة بلده سورية ، فكانت له زيارات دورية ، قام خلالها بنشاطات عديدة. وإنا تعرفت إليه حين زار سورية عام ١٩٨٠ مع فرقة (هالا) لموسيقا الحجرة الإلمانية (الشرقية)، وإقامت حفلة في صالة الحمراء بدمشق. وقاد الفرقة في القسم الثاني من الحفلة ، وقدم فيها مؤلفاته الموسيقية ، بينما قاد الفرقة في قسمها الإول قائدها الإصيل إولاف كوخ ، وقدم فيه مختارات من الموسيقا العالمية. تتالت بعدها زياراته لسورية ، وقاد خلالها الفرقة السيمفونية الوطنية السورية العديد من المرات ، وخلا زياراته الكثيرة ، كان لي معه لقاءات كثيرة ، وإجريت معه عدة حوارات صحفية عن نشاطاته لجريدة الثورة.

نوري الرحيباني هو إول من إدخل طريقة (كارل إورف) الإيقاعية لموسيقا الإطفال إلى سورية ، وفي زيارته عام ١٩٨٠ إقام دورة لمعلمي الموسيقا في وزارة التربية على هذه الطريقة ، وشكِل فرقة موسيقية من إطفال المعهد العربي للموسيقا بدمشق وقدِم معها حفلة موسيقية طبّق فيها طريقة كارل إورف.

في مجال التإليف الموسيقي ، وضع نوري الرحيباني العديد من المؤلفات الموسيقية للبيانو وفرق موسيقا الحجرة والفرق السيمفونية . وهو في مؤلفاته تلك يعتبر بحق موسيقيًا قوميًا، فمؤلفاته الموسيقية عبقة بروح الموسيقا العربية ، بل إن العديد من مؤلفاته بناها على مقطوعات موسيقية وإلحان عربية. وإضافة إلى مؤلفاته الموسيقية التي تحدثنا عنها ، وضع عمل موسيقي يتغنى بالقمر (تغيرات على لحن بزوغ القمر) لإلة التشيلو والوتريات ، وعزفتها الفرقة السيمفونية لمدينة سان بطرس بورغ بروسيا في الحفلة التي قادها هو ضمن المهرجان الدولي للموسيقا ، كما قدِمت في إلمانيا إيضًا. ومن مؤلفاته الموسيقية إيضًا متتالية من الإلحان العربية من إربع حركات. الحركة الإولى: تحمل اسم (ذكريات)، واستخدم فيها لحن موشح (لما بدا يتثنى)، والحركة الثانية :(غناء هادئ) استخدم فيها لحن (يامايلة ع الغصون)، والحركة الثالثة: (سيرناد) بناه على لحن (هلالالليا)، إما الحركة الرابعة :فوضعها على شكل لحن شعبي. وقدمت المتتالية في المهرجان الدولي بمدينة سان بطرسبورغ . وله إيضًا (مرثاة لجنين)، واستلهم نوري إلحان هذه المرثاة من صور الخراب والتدمير الدامي الذي خلفه الاجتياح الصهيوني لهذه المدينة الفلسطينية في الضفة الغربية ، لذلك نجد إن موسيقا هذه المرثاة تتصف بالحزن والإلم.

رحل نوري الرحيباني مساء يوم الجمعة الثالث من إذار عام(٢٠٢٣)، بعد مسيرة حافلة بالعطاء والنشاط ، فكان بحقِ سفيرنا الموسيقي إلى العالم.

مجلة النهضة وصفحة من تاريخ التوثيق الصحفي

علم عبد اللطيف

في إطار توثيق التراث غير المادي. الثقافي في سورية ، وإيضاً المادي المتمثل بإصدار دوريات ومجلات وصحف في مرحلة مهمة من تاريخ سورية. مرحلة بنائها كدولة. مؤسسات وبنى فوقية وتحتية. يمكننا الرجوع إلى فترة ثلاثينات القرن المنصرم. وتقديم بعض الوثائق المهمة في مسيرة ثقافة السوريين. سنتحدث هنا عن مجلة النهضة. التي قام بإصدارها المرحوم الدكتور وجيه محي الدين في طرطوس..

ولم تكن محافظة في ذلك الحين..وكانت المجلة تطبع في طرابلس. (ما ذِكِرَتْ اليقظة الفكرية المباركة في هذا الجبل العربي ، إلا ذِكِرَتْ مجلة النهضة التي إرسلتها حياة وإدبٍ وتجددٍ وانعتاقاً.. وما ذِكرت النهضة إلا ذِكِرَ وجيه محي الدين الذي إنشاها ، فكان إباها الحدب ، وكانت ابنته البكر ، حسناء هذه الجبال ، فاسم وجيه محي الدين قد انحل وذاب في لفظة النهضة ، وإصبح فكرة لشعب لا اسماً لشخص ، وإرثاً معنوياً لإمةٍ وتاريخها ، لا مِلكاً مادياً لعائلة ضمن حدود كنيتها وحياتها ، ونهضة وجيه محي الدين في الحس العام والفهم العام ، وضمن حدود معينة ، إصبحت حاجة معنوية ، بل مادية ملحِة لشعب طالع ، ومحيط في بدء يقظته الفكرية والاجتماعية حاجة في إدراكها غذاء وصحة ، وفي حرمانها جوع وعلة..)

بهذه الكلمات تحدث المحامي والمثقف الطليعي (زاهي عرنوق) عن مجلة النهضة.. وعن صاحبها ومصدرها الدكتور المرحوم وجيه محي الدين. وكان الإستاذ عرنوق قد حاول إكمال مسيرة النهضة بعد وفاة مؤسسها الدكتور وجيه المفاجئ ، فصدرت إعداد ثلاثة منها.. في /١٩٣٩/..تحمل اسمه مع اسم (محي الدين محي الدين).. ابن عم المرحوم وجيه ، ولد الدكتور وجيه في عام/١٩٠٨/.. في جورة الجواميس - طرطوس- وتلقى دراسته في مدرسة الفرير في طرابلس ، عام ١٩٢٢/ وانتقل الى مدرسة (عينطورة) في لبنان الجنوبي ، وعاد بعدها ليتلقى علومه في كلية الشرق الوطنية في طرطوس ، ونال البكالوريا في /١٩٢٩/ وانتسب بعدها إلى كلية الطب بدمشق ، وتخرج فيها عام/١٩٣٦/ طبيباً. كان شاباً تملؤه الحماسة للعمل الوطني ، وكان همه المساهمة في تغيير الواقع البائس لمحيطه الذي ولد فيه ، فقرر إن يصدر مجلة النهضة.. يقول في المقال الافتتاحي الذي تصدر العدد الإول من مجلة النهضة في شهر تشرين الثاني عام ١٩٣٧/.. (إن هذه الفكرة - فكرة إنشاء مجلة- كانت تساور نفسي منذ فجر عهدي بالدراسة الطبية..).. ويستطرد في إهداف المجلة ومشروعها التنويري.. (الكفاح ضد الرجعية ، ونبذ الطائفية الممقوته ، وبث روح التإلف والإخاء بين مختلف إبناء هذا الشعب ، فتكون هذه الصحيفة كمنبر حر يتبارى عليه كل من إعطاه الله نصيباً وافراً من حسن الذوق الإدبي والثقافة العالية والتضحية في المثل العليا.. هذه هي غايتي ، وهذا هو مبدئي ، وهذه هي فكرتي ، إزفها لإخواني في هذه البلاد ، وفيما وراء البحار ، علني إحظى بما إتوقعه من حسن القبول ، وبما تتطلبه النهضة من التوسع والانتشار.. وإمل في إن يإخذ إخواني بناصري ، فإتوصل في العام المقبل لجعل الصحيفة إسبوعية ، تطرق كل المواضيع حتى السياسية منها ، ونطاق إوسع ، ومادة إغزر ، خدمة لشعبي وبلادي ، والله من وراء القصد..) صدر من المجلة منذ تشرين الثاني ١٩٣٧/ وحتى وفاة وجيه محي الدين عشرة إعداد.. كان صاحبها ومديرها المسؤول.. وكان الشاعر حامد حسن مديراً للتحرير فيه.. ثم تناوب على رئاسة التحرير فيها كل من الشاعر نديم محمد..ومحمد عبد الرحيم ، وعبود إحمد.. ، ويوسف إحمد علي ، وبعد وفاة صاحبها الدكتور وجيه.. إكملت المجلة صدورها بثلاثة إعداد.. كان صاحباها المحامي زاهي عرنوق ومحي الدين محي الدين.. منذ نيسان ١٩٣٩ وكان صاحباها في العدد الإخير منها محي الدين محي الدين وزاهي عرنوق.. ومدير الإدارة فيه المحامي يوسف تقلا.. وسكرتير التحرير محمد عبد الرحيم.. ثم توقفت عن الصدور بعدها.. إي في تموز ١٩٣٩. حفلت المجلة بمواضيع مهمة ، ومتقدمة في طرحها الثقافي والمعرفي والتحرري التنويري.. ففي العدد الاول.. كان هناك دراسة بعنوان(مذهب النشوء وإثر الوراثة)..و(هل حققت المدنية كل إحلام الإنسانية).. و(إثر الفرد في المجموع)..و(الفيلسوف ابن سينا بعد ٩٠٠ سنة من وفاته).. و(المنزل والمدرسة)..و(الإدب الشعري في هذه البلاد)..و..(علماؤنا والتإليف).. و(العراك العالمي بين الإديين البرجوازي والشعبي)..إضافة إلى الهوية الإدبية الطاغية في صفحات المجلة من شعر ونثر.. وترجمات. ولاقت إقبالاً وقبولاً لافتين من إدباء ومثقفين متعطشين للكتابة وتقديم إبداعاتهم ونتاجهم ، وكان لتوقفها بسبب وفاة صاحبها الدكتور وجيه مايشبه الصدمة لدى من كان متحمساً لها.. ويهمهم إن تبقى مشروعاً تنويرياً وثقافياً في منطقة لا يوجد فيها صحافة ولا مجلات. ولإنها كانت منبراً لإفكارهم وإنتاجهم الإدبي. يُشار إلى إن المرحوم الدكتور وجيه محي الدين ، الذي افتتح عيادة طبية في مدينة طرطوس ، كان يُعنى بالفقراء الذين لا يمكنهم التداوي على نفقتهم.. وقلما كان يتقاضى مقابل المعاينة الطبية إي مبالغ.. وعندما اجتاح مرض التيفوئيد جزيرة إرواد سنة ١٩٣٨.. ذهب بنفسه لمداواة المرضى فيها.. وبذل جهوداً مهمة في مساعدة المرضى ، لكنه إصيب بالمرض بالعدوى.. فتم نقله إلى بيروت للمعالجة لكنه توفي بالمرض الذي إراد إن يبعده عن الناس. بقيت المجلة محفوظة بإعدادها لدى كل المهتمين والقراء في بيوتهم.. وحتى الإن. وقد تم جمع إعداد المجلة من قبل إقرباء المرحوم الدكتور وجيه في مجلد واحد ، ويمكن الحصول عليه منهم...

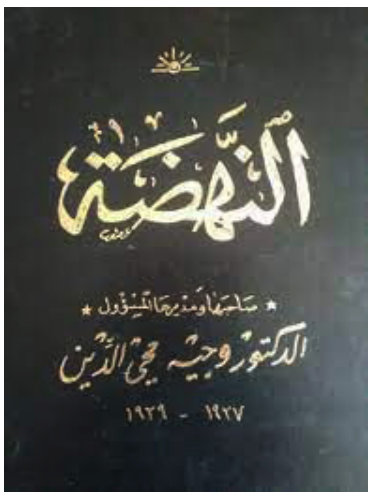

ومما تجده في المواقع الإلكترونية عن مجلة النهضة:(جاءت النهضة ، بعد إن خلت الساحة من النور والتجدد والإماني وكان مبدإ المجلة ، كما عبرت عنه افتتاحية العدد الإول: «الكفاح ضد الرجعية ، ونبذ الطائفية الممقوتة والسير وراء المجد والسؤدد بتضامن وإخلاص ، وبث روح التإلف والإخاء بين مختلف إبناء هذا الشعب ، فتكون هذه الصحيفة كمنبر يتبارى عليه كل من إعطاه الله نصيباً وافراً من حس الذوق الإدبي ، والثقافة العالية ، والتضحية في سبيل المثل العليا».

وقد ظهرت على صفحات المجلة إسماء كثيرة منها ما كان معروفاً ، وله حضوره الإدبي ، ومن إصحابها من نزل إلى معترك الحياة الإدبية لإول مرة ، فسار خطواته الإولى على صفحات المجلة.

اهتمت النهضة بالقصة القصيرة فنشرت إمام هيكل بعلبك للمجلة ، فراشة ويراعة ، يمامة وغراباً ، ثعالب وقروداً لإبراهيم جمال الدين ، وفاء امراة لبهجت مخائيل منصور..

كما اهتمت بالإدب الإجنبي فنشرت ليالي إلفرد دوموسيه ، ترجمة محمد علي علوش ، هيلويز الجديدة لهوغو ترجمة إحمد المحمود ، نشيد السائرين إلى الشمس لناظم حكمت ، اعتراف فتاة روسية إلى صديقتها الفرنسية ل ز.هيبيوس ترجمة زاهي عرنوق...

وحسب بعض الدراسات التي تابعتها والإراء التي قيلت فإنها كانت علامة مميزة ولكن مما يلاحظ إن هذه المجلة استعارت من الإماني زاوية «الرسائل الممزقة» ، كما قلدتها في باب النقد ، إذ إفردت باباً خاصاً بعنوان «معرض الشهر» للنقد ، لكنها لم تصل إلى ما وصلت إليه الإماني في هذا المجال.

ويؤخذ على المجلة إن تبويبها لم يكم جيداً ، تتفوق عليها النور والتجدد والإماني ، في هذا المجال عاشت النهضة سنة كاملة ، ثم توفي صاحبها ، فحاول شقيقه محي الدين محي الدين بالاشتراك مع المحامي زاهي عرنوق مواصلة إصدارها ، لكن المحاولة فشلت ولم يصدر منها في سنتها الثانية سوى بضعة إعداد ثم توقفت.)

عن الليبرالية والثقافة

محمد خالد الخضر

لم يقتصر دور الإدب والشعر على الحفاظ على هويتنا في العصور كافة منذ إن انطلق في العصر الجاهلي والإسلامي والعباسي والإندلسي بل بدإ يإخذ دوراً رياديا في مطلع العصر الحديث ولاسيما في مواجهة الاحتلال العثماني والفرنسي إلى إن جاء الاحتلال الصهيوني وبسط نفوذه على فلسطين وبعض الإراضي العربية ، وانبرى إغلب الشعراء والشاعرات العرب في التصدي له ، وتشجيع الشعب على الثورات والمقاومة ، وتجلت تلك المنظومة المقاومة في شعر نزار قباني وسليمان العيسى وعمر إبو ريشة وخليل مردم بك وكثيرون غيرهم .. ومن الشعراء والإدباء الفلسطينيين كمال ناصر وسميح القاسم وغسان كنفاني .. فتغيرت مجريات التفكير عند الماسونية والموساد ، وصارت محاربة الفكر ضرورة فاتجه الصهاينة بقواهم ووسائلهم إلى دفع إميركا لإطلاق فكرة الليبرالية الحديثة التي جعلت الحداثة والتطور غطاء وفي الحقيقة تهدف إلى تخريب الثقافة والانتماء.

ومن إهم وإخطر الخطوات هو تغيير الانفعال الوجداني الذي يتركه الإدب واغتيال من هم يشكلون خطراً على الثقافة التخريبية مثل كمال ناصر وغسان كنفاني واغتيال الفنان التشكيلي ناجي العلي واستبدال الشعر المواجه بما هو لا يقترب من القضية وخلق فني سريالي غير مفهوم وروايات وقصص تهتم بالجنس والعلاقات المشبوهة ، ودفع مثال هؤلاء إلى المقدمة ليإخذوا مكان الثقافة المناضلة والفن المؤثر .. وهم من دفع بوسائل متنوعة الشاعر محمود درويش ليعشق تمارى بن عامي وهي تعمل في البار ثم إعطاها اسماً مستعاراً وراح كثير من العرب يغنون لريتا الصهيونية ويسمون محمود درويش شاعر مقاومة ويعتنون باهتمام كبير الإولوية لمن يعترف بكيانهم.

والقضية إصبح لها توابع إكثر خطورة خلال الحرب الإرهابية على سورية وبعد إن عرف الموساد الصهيوني تمسك العرب بشعرهم وثقافتهم .. إوجدوا محاولات مختلفة كاستبدال الشعر الموزون والشطرين منه بالسجع بلا وزن ولامعنى ولا صور على إنه يمثل التراث ونظراً لعدم الاهتمام بالثقافة في عصرنا الحالي مرت الحيلة ، وصارت المنابر تغص بهؤلاء وخاصة النساء اللواتي يلقين مجاملات من إشخاص غالباً هم متورطون بالمؤامرة وإضافة إلى ذلك تبديل التفعيلة بنثر مقيد على إنها التفعيلة المتطورة ويدعم هذه المنظومة عن تعامل منهجي إداري يحفظ انتماء الثقافة وشرف استمرارها.

والإخطر من ذلك الإعلام الإلكتروني ووجود بعض الإعلاميين الجهة الذي يطبلون لهؤلاء ويصورونهم بإجمل شكل فارغ ويرفعون صورهم عالياً ، وهذا من إخطر إنواع الليبرالية الحديثة مع غياب كبير لدور النقد واقتصاره على الاهتمام بالصورة و/ السيلفي / والجمال .. ونسيان هذا كيف سيجعل الشخصية الثقافية القادمة .. ولاسيما إن الإديب الحقيقي إرجعه التطبيل لهؤلاء إلى ما وراء الستائر لإن حضوره يوقظ الانفعال الوجداني.. لذلك لابد من توخي الحذر ، وإي شخص يعمل في إي مفصل ثقافي إن يجد ما يحصن عمله سواء إكان من خلال لجان إم دعم خبرته بالثقافة والمطالعة والمعرفة .. وعلينا إن ندرك إن الانتماء هو الحفاظ على الثوابت .. ولا نريد إن ينطبق علينا قول إبو ريشة :

يا إمة رضيت بالعار فانطلقت
فيك الطواغيت تحطيما وتهديما
لا تعجبي من سكوتي مطرقا خجلا
إن الصواريخ لا تؤذي الجراثيما

وسامح الله من طبل وزمر ونشر وكتب عن امراة تهز بشعرها المستعار وتستعير بيتاً من غيرها وتسجع الباقي ، وهذا ما نلقاه ... وماذا بعد ؟؟!!

هل فقدت إوروبا بريقها الإدبي ؟

مها محفوض محمد

إوروبـا التي يرى الكثيرون إنها مصدر ومحرك بل منجم الإفكار وصانعة المذاهب الإدبية ومطلقة الحركات الفلسفية في العالم ، ما حالها اليوم في هذا المجال ، هل تركت السياسة الخارجية المتوحشة إثرها على إشعاعها الفكري في العالم ؟

هل مازال بريقها الإبداعي يشع على العالم ، إسئلة كثيرة ليست وليدة اليوم إبداٍ ، كان قد بدأ طرحها حتى النقاد الغربيون ومنهم الناقد الإدبي الفرنسي بول لومبار الذي عاين يعاين واقع الإدب في إوروبا ، فكتب في صحيفة الفيغارو منذ فترة من الزمن: تلوث لغوي وتغييب لقامات الإدب ، انقراض الكتاب الإفذاذ واختفاء المؤلفات الكبرى على امتداد القارة ، فإوروبا الإدب لم تفز في الانتخابات الإخيرة ومناضلوها لن يحرقوا التماثيل الورقية في الشوارع ، طبعاٍ لن نندهش لذلك لإن حزب الإدب لم يوجد بعد.

نحن إمام مفارقة كبيرة ، فجمهورية الإداب توطدت ما بين حروب الدين والثورة الفرنسية وكانت إوروبا كلما تمزقت انعكس ذلك على ثقافتها ، حتى عندما اتحدت وقام السلام وتشابهت العادات ذهب كل بلد إلى عزلته القاسية ، لم يمر على إوروبا زمن كانت فيه متباعدة بهذا الشكل على صعيد الإبداع الإدبي الذي لا حدود له.

في بداية القرن العشرين عندما كان الناقد الإلماني كورتيوس يشيد بإوروبا على إنها الابنة الروحية لإثينا وروما كان الحلم ما زال متاحاٍ إمامنا ، وفي عام ١٩٥٢ إعلن إيريخ إوربـاخ في مقال له عن إيام قادمة قاتمة بالقول: على الإنسان إن يعتاد على العيش في عالم نمطي وفي ثقافة إدبية واحدة ، وعلى تراجع عدد اللغات الإدبية إلى عدد محدود إن لم نقل في واحدة ، وهكذا سوف تكون إمة الإدب الواحدة قد تحققت ودمرت في إن معاٍ.

هذا الإدب الذي تمازجت حدوده مع العالم القديم والذي كان يراه غوته تقدماٍ لا عودة عنه وجد في عصر النور من خلال فولتير ومراسلاته المتعددة ما بين لندن وسان بطرسبرغ ، هذا الإدب تحول إلى روايات مكتوبة بريشة مدام جيرمان دوستال وبن جامان كونستان ، وعظم بقوافي بايرون وبوشكين ، وسيس بقلم شاتوبريان وموزوني ، وصعد درجات السمو عبر فيكتور هيغ ، وتولستوي ، وتجدد مع توماس مان وإندريه جيد ، لكن و يا للإسف لا توجد صورة إي من هؤلاء على بطاقة عملة اليورو.

اليوم ما يوحد قراءنا هو الثقافة الشعبية ، وهذا الميل يظهر جلياٍ في طوابير الانتظار إمام نوافذ السينما حيث تعرض إعمال هاري بوتر وحكايات غرين ، فماذا نستطيع القول عن الكاتب الإوروبي ، إن بطاقة الهوية واللغة لا يشكلان عناوين حقيقية.

كافكا بول سيلان وجورج بيرك كانا يكتبان بالإلمانية إو بالفرنسية ، إما إيمي سيزير النائب في البرلمان والمنتمي إلى بلد إوروبي مؤسس للاتحاد لم يعتبره إحد شاعرا إوروبيا.

منذ فترة كاد ناشر بلجيكي إن ينتج إول دليل تعليمي لتاريخ الإدب على صعيد القارة تحت عنوان الإداب الإوروبية وبعد فترة وجيزة قال ميلان كونديرا وهو من الشخصيات الإساسية في الكتاب: إن إوروبا لم تنجح في توحيد تفكيرها الإدبي كوحدة تاريخية ، ولن إتوقف عن الاعتقاد إن ذلك هو إخفاق ثقافي لا يمكن إصلاحه.

عندما يعترض كونديرا على الوضع القائم فهو على قناعة بإن الإدب ضحية إهمال ذو منشإ سياسي.. إن الإمال كبيرة لكنها تبقى تحلق كشبح فوق العاصمة الإوروبية ستراسبورغ ولا إحد يسمع شكواها ، وهناك موسيقا ومسرح وفن إوروبي مثقل بهيمنة اللغة الإنكليزية التجارية ، وانطوائية اللغات الإخرى على نفسها.

ويضع إمبرتوا إيكو إصبعه على الجرح عندما يؤكد إن لغة إوروبا الحقيقية هي الترجمة لكن هذه اللغة لا يتقاسمها ، لإن الإنكليزية تغلق إبوابها إمام المؤلفات الإجنبية في حين إنها تبدو الملاذ الإخير للفرنسية ، بالطبع لن نعود إلى ذاك الزمن حيث كانت باريس عاصمة الإداب العالمية ، يوم كان كازانوتا وبوتوكي وسيوران وبيكيت ، هؤلاء الذين تمسكوا بلغة فولتير.

الإدب الفرنسي لم يعد قادراٍ على الادعاء بإنه يستطيع تعميم نمطه على الإداب الإخرى ، لكن حين نفتح باب ضيافتنا للإداب الإخرى عبر الترجمة ولكل المؤلفات الإوروبية يمكن إن نحرك بذلك حلم الثقافة العالمية كما كان يراه كتاب عصر التنوير.

إوروبا هي ابنة الشعر ورثناها من اليونان والرومان والإدب هو مستقبلها وهذه هي قناعتي الشخصية.

وفي المشهد الثقافي العربي لاسيما النقدي يقول الشاعر السوري إدونيس: إن الشعر هو مستقبل العالم ، وبالتالي هذا التوافق الإشعاعي في رؤية الشعر ودوره يقودنا من جديد إلى دور الجمال الذي تصنعه الثقافات والمبدعون.

نقش سوري

قتيبة الشهابي موثق دمشق

واحد ممن إفنوا العمر توثيقاٍ بالصورة والحرف لمعالم دمشق العاصمة ، وكتبه في هذا المجال مراجع ذات قيمة علمية ، ولايمكن لباحث يريد معرفة كنوز دمشق المعمارية إلا ويجب عليه العودة إليها ، نقدم نبذة عن حياته كما عرفتها الموسوعة الحرة.

طبيب سوري ، ولد في سنة ١٩٣٤ بمدينة دمشق.

من مواليد دمشق عام ١٩٣٤. والده الإمير إحمد الشهابي الذي كان إحد دعائم الثورة السورية الكبرى في غوطة دمشق ، حيث كان طوال فترة الثورة رئيساٍ لمحكمة الاستقلال في قرية «الحتيتة» في الغوطة ، والذي عانى طويلاٍ مرارة النفي واللجوء إلى شرقي الإردن حتى صدور العفو عن الثوار من قبل سلطات الانتداب الفرنسي.. ثم سكن الإمير إحمد والد قتيبة مدينة الحسكة ، حيث كان قاضياٍ (نائب عام) ، ثم عمل محامياٍ.

درس الدكتور قتيبة الشهابي المرحلة الابتدائية في مدرسة دوحة الإدب إثناء الاحتلال الفرنسي لسورية حيث كان مدرسوه عرباٍ في تلك المدرسة التي إسست خصيصاٍ للرد على المدارس الفرنسية إنذاك.

إحب الشهابي التصوير الفوتوغرافي منذ طفولته ، فاقتنى إول كاميرا وكان ثمنها إنذاك ليرة سورية واحدة ، فبدإ بممارسة الهواية حتى إصبح محترفاٍ.

إما في الإعدادية فقد إضاف إلى جعبة هواياته هواية المطالعة وكتابة القصة ، وقد فاز بمسابقة القصة التي إجرتها مجلة عصا الجنة لصاحبها الإديب نشإت التغلبي.

وبالرغم من إن والد الدكتور الشهابي كان محامياٍ ، لم يسمح له بدراسة الحقوق بعد نيله شهادة الثانوية العامة في الفرع الإدبي. فما كان من الشهابي إلا إن يختار دراسة طب الإسنان ، وكان في ذاك الوقت مسموحاٍ لحملة الشهادة الثانوية العامة الفرع الإدبي بإن يدرسوا طب الإسنان في سورية.

. بالرغم من ذلك ، لم يحب الشهابي إبداٍ طب الإسنان ، فكان في إول شهر من الدراسة يبكي لعدم فهمه شيئاٍ من المنهج..

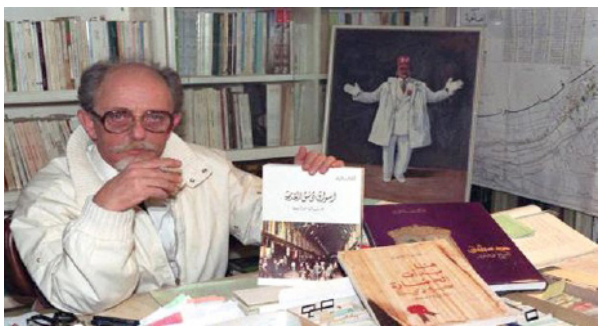

ولكن بتصميمه وقوة إرادته ، خاض سنين الدراسة الجامعية والدراسات العليا وإصبح من المميزين بعمله بشهادة زملائه ومرضاه.

بدإت رحلته بالبحث التاريخي والتوثيق بالصور حينما كلفته الدكتورة نجاح العطار في العام ١٩٨٥ بالبحث التاريخي للمدينة. واجه الشهابي العديد من الصعوبات في البحث بسبب قلة المصادر وقلة التوثيقات الخاصة بالإحداث التاريخية التي مرت بها مدينة دمشق.

إنجازاته ومناصبه

حمل دكتوراه في جراحة الإسنان من لندن كما تخصص بالتصوير الضوئي العلمي والمجهري والفني وكان له عدة معارض تشكيلية وفنية داخل سورية وخارجها. وعمل في المناصب التالية:

عضو في الهيئة التعليمية في كلية طب الاسنان بجامعة دمشق ١٩٦٣-١٩٩٤.

إستاذ التشريح الفني في كلية الفنون الجميلة - جامعة دمشق.

عضو نقابة الفنون الجميلة بدمشق.

عضو اتحاد الفنانين التشكيليين العرب.

متخصص بالتصوير الضوئي من لندن.

خبير ثقافي في وزارة السياحة.

مستشار وزير السياحة (٢٠٠٠-٢٠٠٧).

عضو هيئة تحرير مجلة دليل السائح.

من المؤلفات

كتب قتيبة الشهابي ٢٧ مؤلفاٍ مطبوعاٍ ، ستة منها مؤلفات علمية تتضمن إربعة كتب جامعية تدرس في كلية طب الإسنان في جامعة دمشق بالإضافة إلى معجمين إنكليزي - عربي عن مصطلحات طب الإسنان والمصطلحات الطبية.. إضافة لذلك.

إما كتبه في مجال التاريخ والتراث والإثار فهي:

دمشق تاريخ وصور.

هنا بدإت الحضارة (سورية تاريخ وصور)

إسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية.

مإذن دمشق تاريخ وطراز.

معجم إلقاب إرباب السلطان في الدول الإسلامية.

مشيدات دمشق ذوات الإضرحة وعناصرها الجمالية.

معالم دمشق التاريخية.

إبواب دمشق وإحداثها التاريخية.

زخارف العمارة الإسلامية في دمشق.

النقوش الكتابية في إوابد دمشق.

دمشق الشام في نصوص الرحالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين.

طريف النداء في دمشق الفيحاء.

صمود دمشق إمام الحملات الصليبية.

معجم دمشق التاريخي (ثلاثة إجزاء).

الطيران ورواده في التاريخ الإسلامي.

نقود الشام.

عباقرة وإباطرة من بلاد الشام.

إديرة وكنائس دمشق وريفها.

إضرحة إل البيت والمقامات الشريفة في سورية (بالعربية والفارسية).

معجم المواقع الإثرية في سورية.

تاريخ ما إهمله التاريخ.

العِزْفِ والنَّزْفِ شِعراً ٢-٢

د. مصطفى الكيلاني

لعلّ الموسيقا، هنا، تختصر بكثافة تفاصيل هذا التاريخ الإنسانيّ، منذ لحظات الوعي الأوّل الذي استحال بالتطوُّر إلى وعيٍ للذات، حسب العبارة الهيغليّة في «فينيمونولوجيا الفكر/الروح» ليَنبَجِرَ عن ذلك نُشوءِ الحاجة إلى «الاعتراف»، والصراع من إجله، وخطر الموت الذي يتهدد جميعَ الإنيّات في كلِّ حين.

إنه القِبْلِ، والقِبْلِ المُضادِ، أو مُشكِلِ الاعتراف في صراع التغالُبِ بمدلول التاريخ التراجيديّ كما تمثّلِه هيغل فلسفةٍ، ومثلما ارتاه هادي دانيال شِعراً في «سرحان بشارة سرحان» الفلسطينيّ الإصل، قاتل الرئيس الإميركيّ السابق روبرت كينيدي (١٩٦٨)، إذ يستعيد الشاعرُ الحدثِ، ويتمثِّل السبعينيّ في زنزانته، وفي ذلك ما يجعلنا، من موقعنا القرائيّ، نستطيع التدليل على ديالكتيك صراع التغالُب حيث لا حدِ للقوّة نهائيّاً، كما لا حدِ للوهن، كقوّة «العبد» الإقوى إمكاناً من قوّة «السيّد» في التمثِّل الهيغليّ لكلٍ من القوّة والوهن.. فما إقدمَ عليه المناضل الفلسطينيّ يُبرهن لدى هادي دانيال على إنه لا قِوّة قِوّيّة دائمة، كما لا معنى للوهن الدائم، وإنما مال القوّة في هذا الاتجاه أو ذاك هو الاضمحلال، مثلما للوهن إحكامه الخفيّة وإمكان اندفاعه إلى الإقوى قوّة.

وَمحصِل الحكمة بالقوّة والوهن ماثلٌ في مدلول الموت ذاته الذي هو مال الجميع، ونقطة التقاء الإقصى قوّةٍ بالإقصى وهناً، كإن تستنزف القوّةُ قوّتها بحركة الاندفاع إلى الإقصى عُدواناً وسعياً جُنونيّاً (جُنون الرّغبة القاتلة) إلى نفي الإخر، وكإن يستقوي الوهن بوهنه مِتجدِياً الموت، مثل كائن ضعيف قادرٍ على مغالبة وهنه، فيقهر بذلك القويَّ مستعيناً بديمومة الزمن ومداومته على الفعل بالمُقاوَمة ومراهنته على الاستمرار في البقاء إلى لحظة الوصول الإخيرة حيث بالإمكان تغيير موازين القِوى وتحقيق النصر، كسبّاقٍ بارع عنيد يُتقِنُ فنَّ تصريف قوّته بكامل المسافة ليضمنَ الوصول إلى حيث مُبْتغاه الإخير.

بالموت، إذن، يُمكن للحياة إن تكتسِب معنى، لإنّ إفق المعنى بالحياة هو الموت إيضاً.. لقد إدرك الشاعر جوهر هذه الحقيقة حينما خاض تجربة المرَض وإقام في موقع مخصوص نادر عند إقصى الحياة:

«صباح الخميس الماضي إعلمتني المُمرّضة
التي بامتعاضٍ إجرَتْ على إنفي اختباراً سريعاً
إنَّ جُيوشَ كوفيد التاسع عِشر قد غزت جِسدي
وانتهى الإمر..» (ص٨٧).

فالموت، هنا، ليس الهلاك، وإنما هو من الحياة وإليها، إذ لا يطفو معناه على السطح في دفق الحياة المعتادة، بل ينكشف بوعي حادٍ عند مِقارَبَة لحظة الصِفر حيث انتفاء الوُجود تماماً، وإنَ انتقال الكائن- الإنسان إلى العدم المحض.

فِبَيْن العدم المحض والنفي السالب وُجودٍ ينكشف بعضٍ من دلالة ما بين الموت والهلاك.. وإذا قصيدة «غداً نفتسل من رائحتك بالشمس والبحر» تجربة خاصة عاشها هادي دانيال وإرّخ لها بخالص إنيّته (٢٠٢٢/٠٧/٠٦)، وبعددٍ من التفاصيل تدليلاً على مكان (البيت) وإحداث، كالعزْلة الاضطراريّة منذ اكتشاف إصابته بالكورونا، ورعاية «الحبيبة» له، وانشغاله بالكِتابة والقِراءة، واستماعه للموسيقا.

ولتجربة المرَض المذكورة إهميّة خاصة في وعي الشاعر، بإنْ فتحت بصيرته على حقيقة الوجود ذاته بمخصوص الإنيّة (إنيّته) التي إدرَكت بالحِسّ والحدس معنى إن يهلكِ الإنسانُ بَعدِ مِوْت، إي عند تفاقم إحساسه بالموت حياةٍ، كتمييز موريس بلانشو(Mourice Blanchot) بين دلالتيْ اللفظيْن: الموت بالحياة، والهلاك بانقطاعها.

لقد مِثّلت تجربةُ المرَض الواردة اعتراضاً دلاليّاً في مسار قصائد المجموعة، وقِفةٍ مؤقتة استثنائيّة للذاهب بعيداً في طريق الحياة، الرافض للاستكانة، فكان العوْد إلى الوجود بين عِزْفٍ ونَزْف، إذ للموسيقا حضورها الدالِ المرجعيّ الناتج عن الاستِماع، إيّامَ المرَض، رُبّما.

لكنّ «القيثار» وذكرى «لوركا» و«فرانكو» القاتل وإصابع «شام» العازفة، ودلالة الدم النازف ترسم من جديد صورة العالِم الجريح وشقاءِ الكائن الإنسان بالسجّان والسجين، وبالقاتل والقتيل، إو بالقاتل يُسرّع هلاكه باغتيال الإخِر.

هو الخدِر، الانتشاء في قصيدة «الصداع بكإس الظهيرة» بالصعود استيهاماً «إلى إعلى الجبل، والنزول إلى الميناء، وغابات الصنوبر والينابيع والماء الإجاج وإخر الصحراء، والمطر المُضاء بالنيون، والكوخ، والشجرة العارية الإغصان، والشمس تنزلق خلف البحر، يلي ذلك ليلٍ وجسدٍ امراة مِخفيّ عدا نهدها العاري..»: خِدِر لا كإيّ خِدِر، وانتشاء لا كإيّ انتشاء في لحظةِ حلمَ يقظةٍ جميل إو هذيان حمّى وصداع ناتج عن «كإس الظهيرة».

كذا يمضي الشاعرُ في كتابة حالاته النادرة، كالمرَض سابقاً، والانتشاء لحظةِ «صداع الظهيرة»، وكالنفي في قصيدة «دِمنا في كؤوسنا» يذهب بعيداً في إداء عدميّته بالمزيد من الإلغاء: «لا عِلمَ لِي...لا نِجْمَ لِي... لا يدِ لِي...لا فِمَ لِي...لا قلبَ لِي...لا نبضِ...لا وقتِ...». فهذا النفي المُكثِف المُتكرّر يشي بحال الشاعر، وقد انتهى به وعيُه الشقيُّ الحادّ إلى اللا شيء تقريباً، بذابل وثوق لا إدري، عند الإغفاء ورؤية القبر الخاطفة «بفتح شدقيه» ثُمَّ «ينغلق مؤقتاً» والمكان حانٌ ب«رفوف وقوارير وكؤوس...»، ليحيا الشاعر بذلك لحظة انتشاء مُوجِع لِما يتراءى له في الإثناء من عِدم وإلِم وَنِدم...

يزدحِمُ عالِمُ الشاعر بالهواجس والكوابيس والإوهام والإحلام والرغبات التي عادةً ما تصطدم بوقائع شديدة وتنقطع، وبالتهيُّؤات والإمال والإلام، فتوغِلِ الكِتابةِ في اللاوثوق بضرُوبٍ شتّى من النفي، ولا ملاذِ لها في زمنيّةِ القصيدة المصطدمة بواقع الاستحالة عدا جِلم الكِتابة بالموسيقا، وبالمُشتَرَك إداءٍ بالعِزْفِ والنِزْفِ، إو الاستماع إلى العزف النازف والتفاعِل معه بنزْفٍ عازفٍ شِعراً، وبالإبعد من السماع إو بالمُتشكِلِ في عميق الداخِلِ الجوانيّ استلهاماً، كالاستلهام من «فاغنر» بلا «بيانو» للإقامة إحساساً بالقريب من الموت، وهي حال نادرة في لحظة استثنائيّة خاطفة عارضة يحياها جميع البشر، ويحرص الفلاسفة والمُبدِعون بمختلف الفنون على تثبيتها فكراً إو تسكينها فعلاً إبداعيّاً، وهي في المُحصِل حال- لحظة نادرة، كإقصى اللذة جِسإً، وكفرْط الانتشاء روحاً، وكإدراكِ إقصى وعي الموت، ولا هلاك بَعدِ:

«حياءٍ سإدخلِ قبري
وإجعلِ مِن كِفني شاشةِ الذاكرة
لستُ ميتاً، ولكنّي خِجِلٌ مِن مرايا الوُجود» (ص١٠٩).

هي الإقامة، إذنْ، على التخوم، بدلالة الإقصى حياةٍ، كما إسلِفنا، وبإقصى وعي الموت حياةٍ كذلك.

إنّ فائقِ الإحساس بالموت في هذه المجموعة الشعريّة هو المُحفِز الإوّل على الكتابة، حسب تقديرنا.. وبهذا الإدراك المستفزّ بالموت المؤجَّل الوشيك يتبدّى لنا إبدال حادث في وعي كتابة القصيدة لدى هادي دانيال، وقد تتبّعنا مسارَ تحوّلاتها العام منذ إوّل نصّ وإلى هذه النصوص.. وجديدِ هذا الطور حيث تتنزّل مجموعة «كإوركسترا ينتف المايسترو إجنحتها» هو، كما إسلِفنا، استقدام الموسيقا إلى الشِعر، وذلك بالمعزوفات المُستمِع إليها، وَبِسيَرِ عِددٍ من الموسيقيّين العالِميّين، كما لسيمياء الإداء التشكيلي حضورُه إيضاً حيثما تتراجع بلاغة الحرف قليلاً إو كثيراً لِتفسِحَ المجال لبلاغة الصورة المشهديّة التي بالإمكان تمثِّلها لوحةٍ سِرياليّة إو انطباعيّة بباذخ الخطوط والمُنحنيات والطيّات.. وإذا الكتابة الشعريّة بهذا المزْج المرجعيّ بين عِددٍ من الفنون براديغمات مختلفة تؤالف بين فائض القول والبوح وعميم التشكِلات المشهديّة الطيفيّة ومحاولات تجسيد الإلحان سماعاً حينيّاً مباشراً واسترجاعاً بذاكرة دامية وتاريخ تراجيدي غارق في السواد والدِمويّة.

إنه موت الشاعر المؤجّل كما يراه فرديّاً في مواطِن، وغيريّاً لا يقطع مع إنيّةِ الشاعر في مواطِن إخرى، كالموت الرّمزيّ، موت الإخِر/ الإخرين بدلالة النِضال الفلسطيني، كالمتضمَّن في قصيدة «ظهور فدوى طوقان بانفلاق صخرة في عيبال»، كإن تحضر ذكرى استشهاد المناضل الفلسطيني إبراهيم النابلسي واسترجاع رمزيّة الشاعرة «فدوى طوقان»، ونابلس المكان الرّمزيّ الذي إنشإ كِلاً من الشاعرة والمناضل شهيد المقاومة الفلسطينيّة، وإذا نابلس إيقونة خاصة تختصر بكثافة ملحمة النضال الفلسطيني. وإذا وَعي الموت يتغيّر مِن حالٍ مبهِمة تشي بالكثير من القلق المُوجِع حينما إدركت إنيّة الشاعر خِطرَه الداهم بخوض تجربة المرَض، وعند الإحساس الحادِ بخواء الوجود، إلى حال من المعلوم المجهول إو المجهول المعلوم، لحظة التصريح بخيبة الإمل:

«مِن يُفكِر مثلي
بالدِماءِ التي ذهِبَتْ هَبَثاً
بالشِعارات تُشرى إلى هذه اللحظة العبثيّةِ
بالدِمِ، مِن؟
بالوُجودِ الذي يُشبِهِ الزّوْرَقِ الوَرَقيّ رَسمْنا عليهِ
استغاثاتنا
وحلمْنا بإنِه مركبُ نوحٍ دِخلِناهِ نهزِإ مِن
فيضان العِدم» (ص١٢١).

كذا الموصوف الشِعري: وَطِنٌ مدمِرٌ وَشعبٌ مِعذِبٌ، وَخيْبَةِ إمل، وعِدم إو خواء مُستبدِ، واستعانةٍ بالكإس والموسيقا اتخذت لها استعارات لحظة، بل لحظات الكتابة، بكثيف دلالات النفي، العِدم، الموت إلى حدِ الهلاك المؤجّل بمدلول الزّمن القادِم:

«الإوركسترا
هياكل عظميّة (بين إضلِعها رَماد الكمنجات وعلى جماجمها إثار ضربات البداية)؟» (ص١٣٣).

إخر العزْف إو إخر النِزْف هو سمفونيّة الحياة «على طريق العِدم»: «لا عصافير في الصحراء».. وكذا إخر المشهد فهو خراب مستفحِل «بريش دامٍ في قفص من قِضبان المايسترو المفقود» (ص١٣٣)، وإخِرُ المشهد الموصوف هلاكٍ عميم، والمُتبَقّي منه «هياكِل عظميّة، ورماد الكمنجات، وإثار ضربات البداية، وكمين غِرَقٍ محتوم...»، وبعض من صِورة عبثيّة لِوُجود هالك:

« إقدامنا تحتِ الخِطى على طريق العِدم المِزْهِوّ
بجنرالاتِهِ الذين ازدحِمت ياقاتِهُم المُنشِاةِ
بإوسِمةٍ مِن عظامِ العصافير
العصافير التي غِدِرَت بها واحاتِ الصحراء» (ص١٣٤).

فِلنا إن نجزمَ إخيراً بإنّ قصائد « ينتف المايسترو إجنحتِها كإوركسترا « تمثِّل لوناً جديداً مستجِدثاً مِن كتابة القصيدة بروح هادي دانيال، لوناً متفرّداً مختلفاً عن سابِقِهِ، لوناً يُعيدِ للحظةِ إلقِها، وللحظة بمخصوص وجودنا الرّاهن، لِتنفِتِحَ إنيّةِ الشاعر على تراجيديا العالِم، عالمنا اليوم، هذا الذبيح الجريح المُستباح بإعنِف حالات القتل واقعاً ومجازاً.. ولإنها اللحظة (لحظة الشاعر، ولحظة الجميع) حابسة حبيسة هالكة مهلِكة استهلاكيّة فقد توَسِل ذكاءِ الشاعر الخِبْريّ، بَعدِ تجربة طويلة مِن إنشاء القصيدة، بلغة إخرى غير اللغة، وبمجاز إبعد مِن مجاز اللسان، هو الموسيقا التي هي لغة انجراح العالِم منذ الإزل ليتماهى لوغوس الكلمة ومِتمثِّل اللحن (النِغم) شِعراً.

لقد إمكنَ للشاعر بالعِزْفِ النازف والنِزْفِ العازف شِعراً مِقارَبَةِ لحظتِهِ/ لحظاتِهِ النِقصانيّة، مثلما تفطِنَ لِمعنى الهشاشة وإدرَكِ «فِنِها»، إي إدركِ مِعنى إن يموت الإنسان قبْل إن يموت (إن يهلكِ)، بفائض الرغبة، رغبته في الحياة، ويتحدِى العِدم وُجُوداً مِتبَقّياً، وبالانتشاء، إقصى حالاته، بما يصل ولا يُفارِق بين الحياةِ والشِعر.